

المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة
لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

سلسلة دروس ومؤلفات الشيخ عبد الرحمن السند (١١)

عبادة العمر

تأليف

عبد الرحمن بن عبد الله السند
الرئيس العام لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
والمدرس بالحرمين الشريفين


عبادة العمر



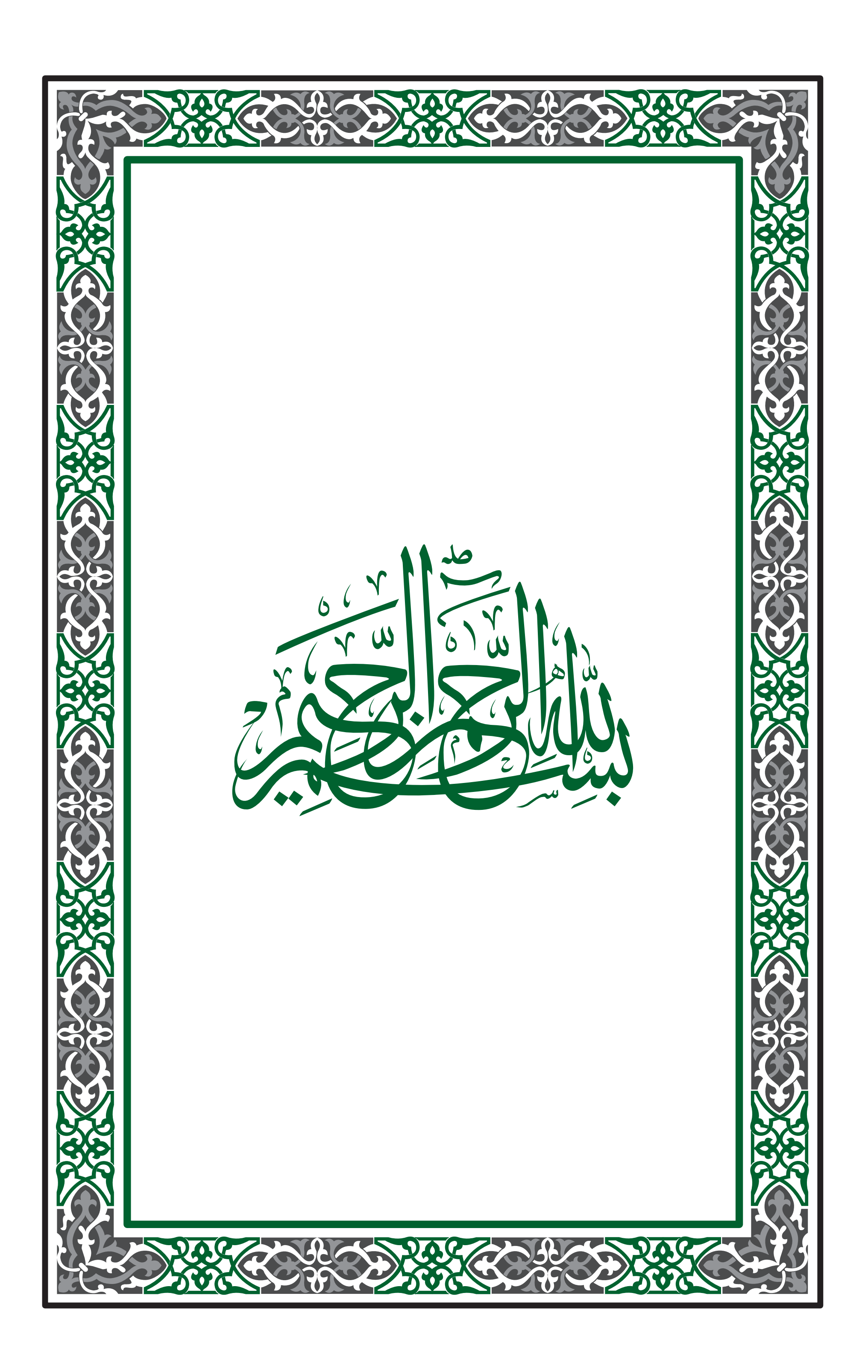
تأليف
عبد الرحمن بن عبد الله السند
الرئيس العام لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
والمدرس بالحرمين الشريفين

ⓒ الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ١٤٤١ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
السند ، عبدالرحمن بن عبدالله
عبادة العمر . / الدكتور عبدالرحمن بن عبدالله السند . - الرياض، ١٤٤١ هـ
٢٤٠ ص ؛ ٢٥ سم
ردمك: ٨-٥-٩١٣٣٨-٦٠٣-٩٧٨

١- الاسلام والعلم أ. العنوان
ديوي ٢١٩,٧ ١٤٤١/١٢٦٢٦

رقم الإيداع: ١٤٤١/١٢٦٢٦
ردمك: ٨-٥-٩١٣٣٨-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى
١٤٤٢ هـ - ٢٠٢١ م


بسم الله الرحمن الرحيم

«مَن اشتغل بالعلم فقد خَاض في جَنَّةٍ حَاضِرة»

الرازي[1]

«ليس في الدنيا من اللذَّات أَعظمُ من لذَّة العلمِ باللَّه»

ابن تيمية[2]



(١) «مفاتيح الغيب» (٢/ ٤٠٥).

(٢) «الصفدية» (٢/ ٢٧٢).

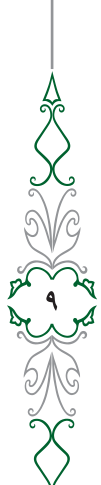
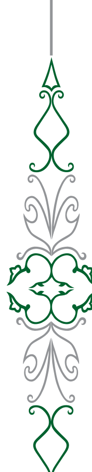


مقدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم، علَّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على معلِّم الناس الخير، وعلى آله وصحبه الذين حَملوا هذا الدِّين، وبلَّغوه مَن بعدهم، ونقله مِن بعدهم مِن كُلِّ خَلف عُدوْلُه.

أما بعد: فإنَّ تحصيل العلم الشرعي واكتسابه عبادةٌ عظيمة، بل هي من أشرف أنواع العبادات وأجلها وأعلاها، وقد سمَّاها الإمام الفقيه المحدث أبو عبد الله محمد بن مفلح المقدسي رَحِمَهُ اللَّهُ: «**عِبادة العُمر**»[1]، وقد رفع الله جَلَّ وَعَلَا شأنها في كتابه، وبيَّن رسوله المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فضلها، فبادر صحابته الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وتابعيهم ومَن بعدهم إلى التزود منها، فمقلٌّ ومستكثر.

والشريعة جاءت بالعلم النافع، وبيَّنت صفات المستخلفين فيه من العلماء بيانًا واضحًا؛ لئلا يلتبس فقهاء الملة بغيرهم من المنتسبين له زورًا، فإن هذا العلم الشرعي ينقسم أهله إلى فريقين:

فريق: يأخذ العلم ويعمل به اعتقادًا وعملاً، وذلك أنَّ العلم ليس مقصوداً لذاته، وإنما هو مقصود لغيره وهو العمل،

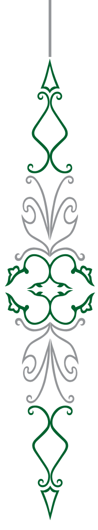
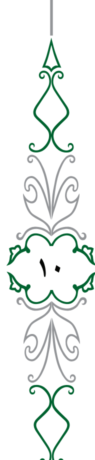
(١) «الآداب الشرعية» (٢/ ١٢٠).

«فكل علم شرعي فطلب الشرع له إنما يكون حيث هو وسيلة إلى التعبد به لله تعالى»[١].

وفريق: مهمل للعمل، مخدوش في نيَّته، اتخذ العلم طريقًا للرئاسة والظهور، وحبًا في الذكر والرفعة في الدنيا فهو محروم من الخير، متزود من الحُجج عليه، فانقلبَ من عِبادة من أجلِّ العبادات إلى مَعصية محضة، وخطيئة خالصة، والعياذ بالله، ومصداق ذلك قوله ﷺ: «**وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ**».

قال ابن القيم ﵀: «الإيمان له ركنان: **أحدهما**: معرفة ما جاء به الرسول والعلم به .**والثاني**: تصديقه بالقول والعمل. والتصديق بدون العلم والمعرفة مُحال، فإنه فرع العلم بالشيء المصدق به. فإذًا: العلمُ من الإيمان بمنزلة الروح من الجسد، ولا تقومُ شجرةُ الإيمان إلا على ساق العلم والمعرفة، فالعلم إذًا: أجلُّ المطالب وأسنى المواهب»[٢].

والعلم يُزكِّي صاحبه ويرفع قدره ويُشعره بحاجة النَّاس إليه وإقبالهم عليه، فصاحبه سامي القدر، نابه الذكر، مرتفع المنزلة بين الخلق، جعل الله له هيبة بغير سلطان، ورزقه غنى بلا مال، وآتاه منعة بغير سلاح، فهو يعيش في هذه الحياة في كرامة، وبعد مماته في عُمرٍ ثانٍ مع حسنات باقيات.

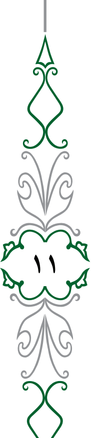



(١) من كلام الشاطبي في: «الموافقات» (١/ ٧٣)، وينظر ما بعدها فهو مهم.
(٢) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٢٢٣).

ولا يذكرُ العلم إلا ويذكر أهله وحملته ومن اصطفاهم الله ﷻ لتبليغ دين ربهم، فإن الله ﷻ: «اختص مِن خلقه من أحبَّ فهداهم للإيمان، ثم اختصَّ من سائر المؤمنين من أحبَّ فتفضَّل عليهم فعلمهم الكتاب والحكمة، وفقَّههم في الدِّين وعلَّمهم التأويل، وفضَّلهم على سائر المؤمنين، وذلك في كل زمان وأوان، رفعهم بالعلم وزينهم بالحلم، بهم يُعرف الحلال من الحرام، والحقُّ من الباطل، والضَّار من النافع، والحسن من القبيح، فضلهم عظيم وخطرهم جزيل، ورثة الأنبياء، وقرَّة عين الأولياء، الحيتان في البحار لهم تستغفر، والملائكة بأجنحتها لهم تخضع»[(١)].

وقد جرت أقلام العلماء فمَن دونهم على التَّذكير بفضل العلم الشرعي، وبيان منزلته؛ ترغيبًا في طلبه، وحثًا على تحصيله، وتشويقًا إلى فضله، وتصحيحًا للنية في طلبه، فطلب العلم إذا أريد به وجه الله ﷻ وأُخلصت النية فيه لله سبحانه من أفضل أعمال البرِّ وأجلِّ نوافل الخير، فهو حسنة الدنيا[(٢)].

وقد رغبتُ أن أكون من زمرة المذكِّرين، وممِّن يستنهضون هِمم الطالبين، فجعلتُ كتابي هذا في ثلاثة فصول:




(١) «أخلاق العلماء» للآجري (ص١٣).

(٢) قال الحسن البصري وسفيان الثوري رحمهما الله في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ [البَقَرَة: ٢٠١]، الحسنة: العلم. «تفسير الطبري» (٣/ ٥٤٥).

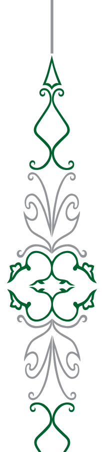
الفصل الأول: العلم النافع: تعريفه، وفضله في الكتاب والسنة، وفي كلام السلف الصالح.

الفصل الثاني: قواعد في تحصيل العلم وضبطه.

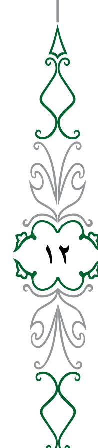
الفصل الثالث: الفوائد المنتقاة من كلام سماحة شيخنا - الإمامِ العالمِ العامل، شيخِ الإسلام في زمانه، وزينةِ الدنيا في أوانه، أبي عبد الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، غفر الله له، وأعلى منزلته، وأنزله منازل العلماء المجاهدين - في العلم وأهله.

وإذا ذكر العِلم وتبليغه وتعليمه للعامة والخاصة والجهاد في ذلك؛ لاحت لنا ذكراه، وتبدَّا لنا مُحيَّاه واستحضر الجميع سنوات عمره التي قضاها في التعلم والتعليم والمجاهدة فيهما، ثقَّل الله بها ميزانه، وجزاه الله عنَّا خير ما جزى شيخًا عن طلابه.

وفي الختام: فلعلَّ طالب العلم يجد في هذا الكتاب شحذًا لِلهم، وشدًّا للعزائم أن تفتر في هذا الزمان الذي غلبت عليه التقنية، فاكتفى الكثير باقتناص المعلومة والشارد من الفوائد دون تحصيل العلم من طريقه الذي سار عليه الأسلاف.



أسأل الله أن يسلكنا في زمرة المتعلمين، وأن يرزقنا العلم النافع، والعمل الصالح، وأن يغفر لمشايخنا أجمعين.



الفصل الأول

العلم النافع

تعريفه، وفضله في الكتاب والسنة، وفي كلام السلف الصالح





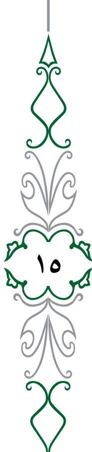
العلم النافع

تعريفه، وفضله في الكتاب والسنة، وفي كلام السلف الصالح

ما زال فضلُ العلم وحبُّ الانتساب إلى أهله أمرًا ذا بداهة عند كلِّ عاقل، ولا يحتاج إثبات ذلك إلى دليل وبرهان، وإنما الشأن في التذكير بهذا الفضل.

قال ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لو لم يكن من فضل العلم إلا أنَّ الجُهَّال يهابونك ويُجلُّونك، وأنَّ العلماء يُحبُّونك ويُكرمونك؛ لكان ذلك سببًا إلى وجوب طلبه، فكيف بسائر فضائله في الدنيا والآخرة؟!

ولو لم يكن من نقص الجهل إلا أنَّ صاحبه يَحسد العلماء، ويَغبِطُ نُظراءَه من الجُهال لكان ذلك سببًا إلى وجوب الفرار عنه، فكيف بسائر رذائله في الدنيا والآخرة؟!»[1].





(١) «مداواة النفوس» (ص٣٩)، وهي مأخوذة من الأثر المنسوب لعلي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «كفى بالعلم شرفًا أن يدَّعيه من لا يحسنه، ويفرح إذا نسب إليه، وكفى بالجهل ذمًا أن يتبرأ منه من هو فيه» «المجموع» (١/ ١٩)، ولم أقف عليه مسندًا.

ومما ثبت عن عمر رضي الله عنه قوله: «تفقهوا قبل أن تسودوا»[1].

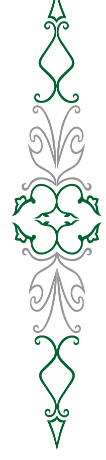
وسُمي العلم عِلمًا؛ لأنه عَلامة يهتدي بها العالم إلى ما قد جهله الناس، وهو كالعَلَم المنصوب بالطريق.

وقد اختلف أهل العلم هل يحدُّ العلم بتعريف؟ وما هو حدُّه؟[2]

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة موصولاً (٢٦١١٦)، والبخاري معلقًا (١/ ٢٥)، وقال إثره: «وبعد أن تسودوا، وقد تعلَّم أصحاب النبي ﷺ في كبر سنهم»، قال ابن حجر رحمه الله: «وإنما عقَّبه البخاري بقوله وبعد أن تسودوا؛ ليبيِّن ألا مفهوم له خشية أن يفهم أحد من ذلك أن السيادة مانعة من التفقه وإنما أراد عمر أنها قد تكون سببا للمنع لأن الرئيس قد يمنعه الكبر والاحتشام أن يجلس مجلس المتعلمين» «فتح الباري» (١/ ١٦٦).

(٢) قال البخاري رحمه الله في صحيحه: «كتاب العلم»، ثم بوَّب بعده: «باب فضل العلم». قال ابن حجر رحمه الله: «**فائدة**: قال القاضي أبو بكر ابن العربي: بدأ المصنف بالنظر في فَضل العلم قبل النظر في حقيقته، وذلك لاعتقاده أنه في نهاية الوضوح، فلا يحتاج إلى تعريف، أو لأن النظر في حقائق الأشياء ليس من فن الكتاب وكلٌّ من القَدْرين ظاهر؛ لأن البخاري لم يضع كتابه لحدود الحقائق وتصورها، بل هو جارٍ على أساليب العرب القديمة، فإنهم يبدؤون بفضيلة المطلوب للتشويق إليه إذا كانت حقيقته مكشوفة معلومة. وقد أنكر ابن العربي في «شرح الترمذي» على من تصدَّى لتعريف العلم، وقال: هو أبين من أن يبيَّن». «فتح الباري» (١/ ١٤٠) .**قلت**: والعلم إذا أطلق في نصوص الوحيين فالمقصود به: العلم الشرعي وهو العلم بالكتاب والسنة وما تفرع عنهما، وعلوم الآلة الموصولة إلى فهمهما. وسيأتي تفصيل ذلك بإن الله. وقد ذهب كثير من أهل العلم إلى وضع تعريف للعلم .**ينظر**: «الواضح في أصول الفقه» لابن عقيل (١/ ١٠)، «البحر المحيط في أصول الفقه» للزركشي (١/ ٧٥)، «التحبير شرح التحرير» للمرداوي (١/ ٢١٨) وقال: «فذهب الأكثر إلى أنه يحد، ولهم فيه حدود كثيرة لا تحصر، ولا يسلم أكثرها من خدش وتزييف».




والعلم المقصود في هذا الباب هو العلم الشرعي المبني على الكتاب والسنة، وما أجمع عليه أهل العلم مما هو مستند إلى أحدهما، وهو يشمل علم الكتاب والسنة حفظًا وفهمًا، وكل علم مساند لهما.

وإن شئت فقل: العلم الشرعي قسمان: علوم مقصودة، وعلوم آلة.

فيدخل في العلوم المقصودة: علم الاعتقاد، والفقه، والتفسير، والحديث، والسلوك، والأخلاق، والجزاء، والآداب الشرعية، والسيرة النبوية.

ويدخل في علوم الآلة: علم اللغة العربية، وأصول التفسير، وأصول الفقه، ومصطلح الحديث، وكل ما يعين على معرفة العلوم المقصودة.

وقد قسَّم شيخ الإسلام ابن تيمية العلم الممدوح الذي دل عليه الكتاب والسنة، الذي ورَّثه الأنبياء إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: علم بالله وأسمائه وصفاته، وما يتبع ذلك.

القسم الثاني: العلم بما أخبر الله به مما كان من الأمور الماضية وما يكون من الأمور المستقبلة وما هو كائن الأمور الحاضرة.

القسم الثالث: العلم بما أمر الله به من الأمور المتعلقة




بالقلوب والجوارح من الإيمان بالله من معارف القلوب وأحوالها وأقوال الجوارح وأعمالها وهذا العلم يندرج فيه العلم بأصول الإيمان وقواعد الإسلام ويندرج فيه العلم بالأقوال والأفعال الظاهرة[١].

ومنه استفاد ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تقسيمه للعلم إلى ثلاثة أقسام:

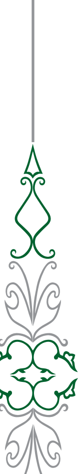
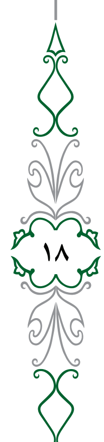
الأول: العلم المتعلق بالله عَزَّ وَجَلَّ وأسمائه وصفاته وأفعالها، وهو أشرفها وأعلاها.

الثاني: العلم المتعلق بالأحكام والشرائع التي تعبدنا الله بها، وهو العلم بالأمر والنهي.

الثالث: العلم بأحكام الجزاء في اليوم الآخر، وما أعدَّه الله لأوليائه، وما توعد به أعداءه.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نونيته:

وَالْعِلْمُ أَقْسَامٌ ثَلَاثٌ مَالَهَا
مِنْ رَابِعٍ وَالْحَقُّ ذُو تِبْيَانِ
عِلْمٌ بِأَوْصَافِ الْإِلَهِ وَفِعْلِهِ
كَذَلِكَ الأَسْمَاءِ لِلرَّحْمَنِ
وَالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ الَّذِي هُوَ دِينُه
وَجَزاؤُهُ يَوْمَ الْمَعَادِ الثَّانِي

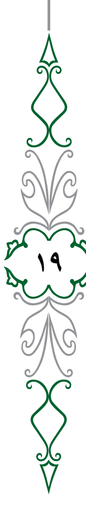



(١) «مجموع الفتاوى» (١١/ ٣٩٦)، وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ليس في الدنيا من اللذات أعظم من لذة العلم بالله، وذكره، وعبادته». «الصفدية» (٢/ ٢٧٢).

وَالْكلُّ فِي الْقُرْآن وَالسُّنَن الَّتِي
جَاءَت عَن الْمَبْعُوْثِ بِالفُرْقَانِ
وَاللهِ مَا قَالَ امْرُؤٌ مُتَحَذْلِق
بِسِوَاهُمَا إِلَّا مِنْ الهَذَيَانِ[1]

وهذا هو الفقه الذي عناه النبي ﷺ بقوله: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يفَقِّهه فِيْ الدِّيْنِ**»[2]، فالفقه شامل لهذه الأمور الثلاثة: فهو معرفة بالخالق ﷻ، والتعرف على أسمائه الحسنى وصفاته العليا، وما يجب له على العبد من توحيده ﷻ في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، ومعرفة الأحكام التي شرعها لعباده وما يحل لهم وما يحرم عليه في عباداتهم ومعاملاتهم، ومعرفة حكم متَّبع الهدى وحكم مخالفه وجزائِهما في الآخرة.





(١) «الكافية الشافية» (ص٢٢٥).
(٢) سيأتي تخريجه والحديث عنه قريبًا.

فضل العلم في القرآن الكريم والسنة النبوية

تكاثرت النصوص من الوحيين في أهمية طلب العلم وفضله، والترغيب فيه، والحث عليه، وقد ذكر بعض أهل العلم أنها تنيف على مائة وخمسين نصًا[١]، مما يدلُّ على أهمية هذه العبادة، وهذه الشعبة الإيمانية العظيمة[٢].

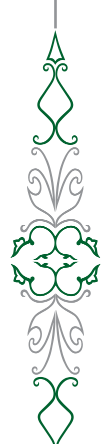
فمن الآيات الدالة على فضل العلم: قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عِمرَان: ١٨].

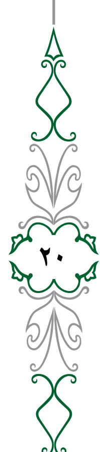
ففي هذه الآية العظيمة استشهد سبحانه بأولى العلم على أجلِّ مشهود عليه وهو توحيده ﷻ، مما يدلُّ على فضل العلم وأهله من وجوه عِدَّة:

أحدها: أنَّ الله استشهدهم دون غيرهم من البشر، ولو كان أحد يقاربهم في هذا لذُكِر معهم، بل لو كان أحد أفضل منهم لذكر دونهم.

(١) **ينظر**: «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٣١) وما بعدها، «الإتحاف في الردِّ على الصحاف» (ص٢٤). وذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «طريق الهجرتين» (٢/ ٧٧٠) أنه ذكر مائتي دليل على فضل العلم وأهله في كتاب مفرد، ولا يعرف حال هذا الكتاب.

(٢) عدَّ الحَليمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ طلب العلم الشعبة السابع عشرة في كتابه «المنهاج في شعب الإيمان» (٢/ ١٦٨)، كما عدَّ نشر العلم هي الخصلة الثامن عشرة.





الثاني: أنه سبحانه قرن شهادتهم بشهادته.

الثالث: اقتران شهادتهم بشهادة ملائكته المسبحة بقدسه.

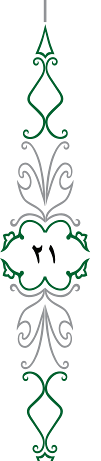
الرابع: أن هذا الذكر والتخصيص فيه تزكية وتعديل لهم، فإن الله لا يستشهد من خلقه إلا العدول، وفي الأثر: «**يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ**»[(١)].

الخامس: أنه سبحانه وصفهم بكونهم أولي العلم وهذا يدل على اختصاصهم به، وأنهم أهله وأصحابه ليس بمستعار لهم.

السادس: أنه سبحانه استشهد بنفسه - وهو أجلُّ شاهد - ثم بخيار خلقه - وهم ملائكته والعلماء من عباده - ويكفيهم بهذا فضلاً وشرفًا.

السابع: أنه استشهد بهم على أجلِّ مشهود به وأعظمه

(١) أخرجه ابن وضاح (١)، والبزار (٩٤٢٣)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٣٨٨٤)، والآجري في «الشريعة» (١)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٣٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢٠٩١١)، والخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١٣٥). وقد ورد من طرق متعددة بعضها مرسل، قال العراقي رحمه الله: «وكلها ضعيفة لا يثبت منها شيء، وليس فيها شيء يقوّي المرسل المذكور»، ونقل ابن مفلح رحمه الله عن الإمام أحمد عندما سأله مهنا عنه وقال له: هو كلام موضوع؟ قال الإمام أحمد: «لا، هو صحيح»، قال مهنا: سمعته أنت؟ قال الإمام: «من غير واحد». «الآداب الشرعية» (١/ ١٤٨). فينظر مقصد الإمام بقوله: «هو صحيح». وقد أطال ابن القيم رحمه الله في تخريج هذا الحديث في «مفتاح دار السعادة» (١/ ٤٦٢).

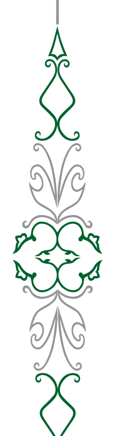
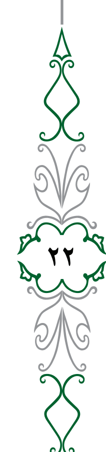



وأكبره وهو شهادة أن لا إله إلا الله، والعظيمُ القدر إنما يَستشهد على الأمر العظيم أكابر الخلق وساداتهم.

الثامن: أنه سبحانه جعل شهادتهم حُجَّة على المنكرين، فهم بمنزلة أدلَّته وآياته وبراهينه الدالة على توحيده.

التاسع: أنه سبحانه أفرد الفعل المتضمن لهذه الشهادة الصادرة منه ومن ملائكته ومنهم، ولم يعطف شهادتهم بفعلٍ آخر غير شهادته، وهذا يدلُّ على شِدَّة ارتباط شهادتهم بشهادته، فكأنه سبحانه شَهد لنفسه بالتوحيد على ألسنتهم وأنطقهم بهذه الشهادة، فكان هو الشاهد بها لنفسه إقامة وإنطاقًا وتعليمًا، وهم الشاهدون بها له إقرارًا واعترافًا وتصديقًا وإيمانًا.

العاشر: أنه سبحانه جعلهم مؤدين لحقِّه عند عباده بهذه الشهادة فإذا أدَّوها فقد أدوا الحق المشهود به فثبت الحق المشهود به، فوجب على الخلق الإقرار به، وكان ذلك غاية سعادتهم في معاشهم ومعادهم، وكل مَن ناله الهدى بشهادتهم وأقرَّ بهذا الحق بسبب شهادتهم فلهم من الأجر مثل أجره، وهذا فضل عظيم لا يدري قدره إلا الله، وكذلك كل من شهد بها عن شهادتهم فلهم من الأجر مثل أجره أيضًا[1].

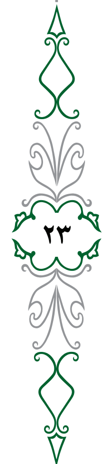
ومن الآيات الدالة على فضل العلم: قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

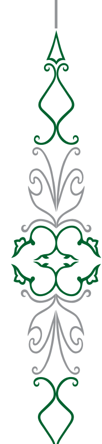
(١) **ينظر**: «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٣١).

فَفَضْل اللهِ على الخلق عظيم، وهو على أهل الإيمان أعظم، ورحمته العامة بالخلق واسعة، ورحمته الخاصة بالمؤمنين أوسع، وقد أذن الله ﷻ لعباده أن يفرحوا بأعظم مفروح به، وأخبر ﷻ أنه خير مما يجمع الناس، وفُسِّر فضل الله: بالإيمان، ورحمته: بالقرآن[1]، والإيمان والقرآن هما العلم النافع والعمل الصالح والهدى ودين الحق، وهما أفضل علم وأفضل عمل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ففضل الله ورحمته القرآن والإيمان، من فرح به فقد فرح بأعظم مَفروح به، ومن فرح بغيره فقد ظلم نفسه وَوَضع الفرح في غير موضعه. فإذا استقر في القلب وتمكن فيه العلم بكفايته لعبده، ورحمته له، وحلمه عنده، وبرِّه به، وإحسانه إليه على الدوام؛ أوجب له الفرح والسرور أعظم من فرح كلِّ مُحبٍّ بكل محبوب سواه»[2]. ولا سبيل لهذا الترقي في درجات العبودية إلا بتحصيل العلم والعمل به.

أخرج أحمد من طريق مُؤمَّل، حدثنا سفيان، حدثنا أسلم المنقري، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزى، عن أبيه، عن أُبيٍّ بن كعب، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**يَا أُبَيُّ، أُمِرْتُ أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ سُورَةَ كَذَا وَكَذَا**»، قال: قلت: يا





(١) **ينظر**: «تفسير الطبري» (١٢/ ١٩٤)، «تفسير ابن أبي حاتم» (٨/ ٨٣٨).
(٢) «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٤٩) .**وينظر**: «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٣٩).

رسول الله، وقد ذكرت هناك؟ قال: «نَعَمْ». فقلت له: يا أبا المنذر، ففرحت بذلك؟ قال: وما يمنعني والله يقول: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يُونس: ٥٨] قال مؤمل: قلت لسفيان: هذه القراءة في الحديث؟ قال: «نعم»[١]. وهذا الفرح داعٍ إلى الازدياد في العلم والإيمان، فهو فرح محمود قد أذن الله ﷻ فيه.

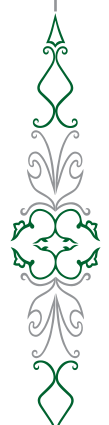
ومن الآيات الدالة على فضل العلم: قوله تعالى: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ﴾ [البَقَرَة: ٢٦٩]. أي يعطيها من يشاء من عباده، والحكمة في القرآن معرفة الحقِّ، وقوله، والعمل به[٢].

وإصابة الحقِّ قولاً وفعلاً لا يكون إلا بنيل العلم المشتمل على معرفة الله ﷻ بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وأفعاله وقدره وقدرته، ومعرفة حق الله على عباده، وفضله وإحسانه فيمن أدى ذلك الحق، وعدله فيمن عصاه وخالف أمره. والعمل بما جاء رسول الله ﷺ فقد حازَ الحكمة ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحَديد: ٢١].

---

(١) أحمد (٢١١٣٧).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢/ ٤٥). **وينظر**: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص٢٢٧)، «زاد المسير» (١/ ٣٢٤). قال ابن القيم رحمه الله: «لأن العبد إمَّا أن يكون: عالمًا بالحق وإما جاهلاً به، والعالم بالحقِّ: إما أن يكون عاملاً بموجبه أو مخالفًا له، فهذه أقسام المكلفين لا يخرجون عنها البتة». «مدارج السالكين» (١/ ١١).





ومن الآيات الدالة على فضل العلم: قوله تعالى:
﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحجّ: ٥٤].

فبيَّن الله ﷻ أنه لا يعلم الحقَّ من الباطل ولا يميزه إلا الذين أوتوا العلم فيقودهم ذلك إلى الإيمان والإخبات لله ﷻ.

ولذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ «هذه الآية دليل على أن العلم يدل على الإيمان»[(١)]، فإن العلم الشرعي يتوصل به إلى معرفة أعظم واجب، وهو توحيد الله ﷻ في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، والإخلاص له في العبادة، وتذليل القلب والجوارح لعبودية الله ﷻ، ويتوصل به إلى معرفة أحكام الله، وما أوجب على عباده، ولذا جاء عن بعض السلف قولهم: «رأس الحكمة مخافة الله»[(٢)]، و«من كان بالله أعرف كان من الله أخوف»[(٣)].

ويشهد لهذا المعنى ما أخرجه البخاري من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في حديث الثلاثة الذين تقالُّوا عبادة رسول الله ﷺ فقال: «**أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ**»[(٤)].

(١) «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٢٧١).
(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٢٩) موقوفًا على عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٣) قائلها هو: أحمد بن عاصم الأنطاكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. ينظر: «تعظيم قدر الصلاة» للمروزي (٢/ ٧٢٨).
(٤) البخاري (٥٠٦٣)، قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفيه إشارة إلى أن العلم بالله ومعرفة ما يجب من حقه أعظم قدرًا من مجرد العبادة البدنية». «فتح الباري» (٩/ ١٠٦).



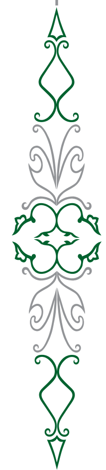
فكلما قوي علم العبد بالله كان ذلك سببًا لكمال تقواه وإخلاصه ووقوفه عند الحدود، وحذره من المعاصي.

وكلُّ تحصيل للعلم الشرعي لم يُنتج هذا فهو وبال على صاحبه، كما قال ﷺ: **«مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ، لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَة»**(١).

وأعظم مدخل للشيطان على طالب العلم: طلبه العلم للشرف والعلوِّ على الناس، وهذا من أخطر الأمور والمصائب، فإن العِلم الشرعي وسيلةٌ يطلب به ما عند الله من الدرجات العلى والنعيم المقيم، والقرب منه، والزلفى لديه، وإذا فقد الإخلاص فيه عاد وبالاً على صاحبه.

قال سفيان الثوري رَحِمَهُ اللهُ: «إنما يطلب العلم ليتَّقى الله به فمن ثَم فُضِّل، فلولا ذلك لكان كسائر الأشياء»(٢).

ولذا فإن السيئات كلها ترجع إلى الجهل، والهوى تابع له، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وأما السيئات:



(١) أخرجه أحمد (٨٤٥٧)، وابن ماجه (٢٥٢)، وأبو داود (٣٦٦٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وصححه غير واحد من أهل العلم منهم ابن حبان في صحيحه(٧٨)، وابن القطان في «بيان الوهم والإيهام» (٥/ ٢١٧)، والنووي في «المجموع» (١/ ٢٣)، وشيخ الإسلام ابن تيمية في «الإيمان الأوسط» (ص٥٨٥)، وشيخنا ابن باز في «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢٧/ ٢٢٩).

(٢) «حلية الأولياء» (٦/ ٣٦٢).

فمنشؤها الجهل والظلم، فإن أحدًا لا يفعل سيئة قبيحة إلا لعدم علمه بكونها سيئة قبيحة، أو لهواه وميل نفسه إليها. ولا يترك حسنة واجبة إلا لعدم علمه بوجوبها، أو لبغض نفسه لها»[1]. نعوذ بالله من علم لا ينفع، ولا يورث خشية وإنابة.

وَالنِّيَّةَ اجْعَلْ لِوَجْهِ اللهِ خَالِصَةً
إِنَّ الْبِنَاءَ بِدُوْنِ الأَصْلِ لَمْ يَقُمِ

وَمَنْ يَكُنْ لِيَقُوْلَ النَّاسُ يَطْلُبُهُ
أَخْسِرْ بِصَفْقَتِهِ فِيْ مَوْقِفِ النَّدَمِ

وَمَنْ بِهِ يَبْتَغِيْ الْدُّنْيَا فَلَيْسَ لَهُ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ حَظٍّ وَلَا قَسَمِ

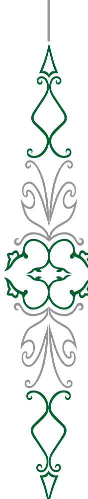
كَفَى بِـ (مَنْ كَانَ) فِيْ شُوْرَى وَهُوْدٍ وَفِيْ الـْ
إِسْرَاءِ مَوْعِظَةً لِلْحَاذِقِ الْفَهِمِ[2]

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٤/ ٢٨٧).

(٢) الأبيات للعلامة حافظ الحكمي من منظومته الميمية. والآيات التي أشار إليها هي قوله تعالى في سورة الشورى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾، وفي سورة هود: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾، وفي سورة الإسراء: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾، وهي آيات عظيمة تدل على أن من أراد الدنيا مما هو من أعمال الآخرة - ومنها العلم الشرعي- فلا حظ له يوم القيامة ولا نصيب.





ومن الآيات الدالة على فضل العلم: قوله تعالى: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [سبإ: ٦].

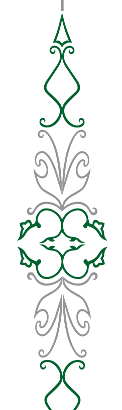
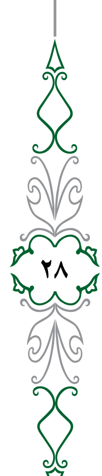
فأخبر سبحانه عن أولي العلم - في معرض الثناء عليهم والاستشهاد بهم - أنهم يعلمون ويشهدون أن ما أنزل إلى محمد ﷺ من ربه هو الحق الذي لا مرية فيه، وأن هادٍ إلى طريق العزيز في ملكه، الحميد عند خلقه، وهو دين الله ﷻ.

وتأمل قول الله ﷻ: ﴿وَيَرَى﴾، حيث جاء اللفظ الكريم بفعل (يرى) دون (يعلم)، وكأنه إشارة - والعلم عند الله - إلى أثر العلم في قلوبهم التي صارت تبصر الحقَّ وتراه، ولا يلتبس عليها بالباطل، فهو يرى بعين قلبه أن ما أنزل الله إلى رسوله هو الحق.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كل مؤمن يرى هذا، ولكن رؤية أهل العلم له لون، ورؤية غيرهم له لون آخر»[(١)].

فأهل العلم المتبعون للنبي ﷺ أعظم الناس عقلاً وأعظمهم إيمانًا ويقينًا بما جاءت به الرسل.

ويؤيد هذا ما جاء في حديث حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ**

---

(١) «مدارج السالكين» (١/ ٤٤٤).

قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ، مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ»[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فمن أوتي العلم رأى أن ما أنزل إليه من ربه هو الحق، وأما من كان عنده ما يظنه علمًا - وهو جهل - فذلك يرى الأمر على خلاف ما هو عليه، مثل من زاغ فأزاغ الله قلبه، وكان في قلبه مرض، فزاده الله مرضًا، وممن يقلِّب الله أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة، ومن الصُّم البكم العمي الذين لا يرجعون إلى ما كانوا عليه من الهدى، أو لم يكونوا يعقلون بحال»[(٢)].

ومن الآيات الدالة على فضل العلم: قوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ﴾ [المجَادلة: ١١].

أي: يرفع الله أهل الإيمان عمومًا، ويرفع اللهُ المؤمن العالم على المؤمن غير العالم درجات، لقوة التفاوت بينهم وبين عامة المؤمنين في الدرجة والشرف، وهذا كتخصيصه جَلَّ وَعَلَا جبريل وميكال بالذكر بعد دخلهما في عموم الملائكة في قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البَقَرَة: ٩٨] لقوة منزلتهما وشرفهما عند الله تعالى.





(١) أخرجه مسلم (١٤٤).
(٢) «درء تعارض العقل والنقل» (٧/ ٤٠).

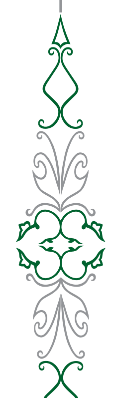
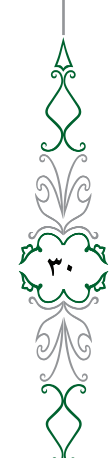
ورِفعةُ الدرجات دالة على الفضل وعظيم الثواب المستلزم لرفع الدرجات، وهذه الرِّفعة - كما قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ - تشمل الرِّفعة المعنوية في الدنيا بعلوِّ المنزلة وحسن الصيت، والحسية في الآخرة بعلو المنزلة في الجنة(١).

ولم يحدد الله جَلَّ وَعَلَا عدد هذه الدرجات وإنما جاءت منكَّرة، وهذا - والله أعلم - بحسب ما يكون مع المرء من الإيمان والعلم، فكلَّما قوي إيمانُ العبد، وكلَّما كثر علمه فانتفع به ونفع به غيره كانت الدرجات أكثر. نسأل الله أن يجعلنا وإخواننا ممن رفع درجاته من أهل العلم والإيمان.

وهذه الآية دليل على شرف العلم، ورفعة حملته، وأنَّه من نِعم الله العظيمة على من يختص بها من عباده بعد نعمة الإيمان، وأن من أوتيه فقد أوتي فضلاً على كثير من عباد الله المؤمنين، ودرجات فوقهم: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١].

قال الفخر الرازي رَحِمَهُ اللهُ: «واعلم أنه تعالى ذَكَر الدرجات لأربعة أصناف:

أولها: للمؤمنين من أهل بدر قال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣

(١) «فتح الباري» (١/ ١٤١).

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ [الأنفَال: ٢-٤].

والثانية: للمجاهدين قال: ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ﴾ [النِّسَاء: ٩٥].

والثالثة: للصالحين قال: ﴿وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ﴾ [طه: ٧٥].

الرابعة: للعلماء. قال: ﴿وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾ [المجَادلة: ١١]»[(١)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: «والقائمون بحفظ العلم الموروث عن رسول الله ﷺ، الربَّان، الحافظون له من الزيادة والنقصان، هم من أعظم أولياء الله المتقين وحزبه المفلحين، بل لهم مزية على غيرهم من أهل الإيمان والأعمال الصالحات. كما قال تعالى: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾ [المجَادلة: ١١]»[(٢)].

ومن الآيات الدالة على فضل العلم: قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٤]. وحسبك فضلاً للعلم أن الله أمر نبيه أن يسأله الزيادة منه دون غيره، وما ذاك إلا لشرفه، ولو كان شيء أشرف من العلم لأمر الله نبيه ﷺ أن يسأله الزيادة منه، وكفى بهذا شرفًا للعلم.



---

(١) «مفاتيح الغيب» (٢/ ٤٠٠).
(٢) «مجموع الفتاوى» (١/ ٩).

وقد امتثل النبي ﷺ لهذا الأمر من الله ﷻ، فكان يقول دبر صلاة الفجر: «**اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا**»[1].

وكان يقول: «**اللَّهُمَّ انْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي، وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي، وَزِدْنِي عِلْمًا**»[2].

ويقول: «**اللهُمَّ انْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي، وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي، وَارْزُقْنِي عِلْمًا تَنْفَعُنِي بِهِ**»[3].

وأمر ﷺ أمته بذلك فقال: «**سَلُوْا اللهَ عِلْمَاً نَافِعَاً، وَتَعَوْذُوْا بِاللهِ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ**»[4].

وكان ﷺ يستعيذ: «**مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا**»[5].

ولا عجب في هذا: فإن العلم النافع يورث الإيمان، بل لا يكون الإيمان إلا به، وثمرته الإخبات لله، والخشية منه،

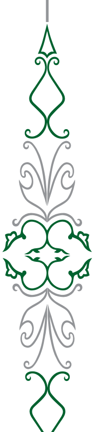
(١) أخرجه أحمد (٢٦٥٢١)، وابن ماجه (٩٢٥)، والنسائي في «الكبرى» (٩٨٥٠) من حديث أم سلمة رضي الله عنها. والحديث حسَّنه ابن حجر في «نتائج الأفكار»، (٢/ ٣٢٩)، وصححه الألباني في تعليقه على سنن ابن ماجه.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٥١)، والترمذي (٣٥٩٩)،

(٣) أخرجه النسائي في «الكبرى» (٧٨١٩) من حديث أنس رضي الله عنه، وصححه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٧/ ٤٣٦).

(٤) أخرجه ابن ماجه (٣٨٤٣) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وحسَّنه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٤/ ١٦).

(٥) أخرجه مسلم (٢٧٢٢) من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه.



والتواضع والانكسار له ﷻ، وتعظيم أمره ونهيه، وهو من أجلِّ النعم على العبد، فإنه حياة القلب ونوره، ولذا قال الحسن البصري رحمه الله: «العلم علمان: علم باللسان، وعلم بالقلب، فعلم القلب هو العلم النافع، وعلم اللسان هو حجة اللَّه على ابن آدم»[1].

وتأمل قول الإمام أحمد رحمه الله عندما سأله ابنه عبد الله عن معروف الكرخي هل معه شيء من العلم؟ فقال: «يا بني! كان معه رأس العلم: خشية الله تعالى»، ولما قيل له: هو قصير العلم، قال: «أمسك عافاك الله، وهل يراد من العلم إلا ما وصل إليه معروف؟!»[2].

وقد قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «كفى بخشية الله عِلمًا»[3]، فسمى رضي الله عنه الخشية علمًا.

وقال الفضيل رحمه الله: «إن رهبة العبد من الله ﷻ على قدر علمه بالله»[4].

قال ابن رجب رحمه الله: «فأصل العلم: العلم بالله الذي يوجب خشيته، ومحبته والقرب منه والأنس به والشوق إليه، ثم يتلوه العلم بأحكام الله، وما يحبه ويرضاه من العبد من قول أو عمل أو حال أو اعتقاد.



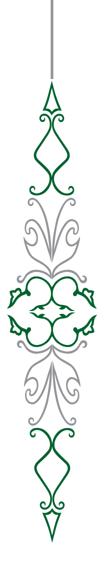


---

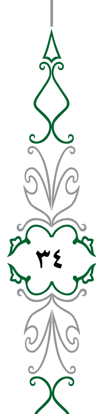
(١) أخرجه الدارمي (٣٧٠)، **وينظر**: «درء تعارض العقل والنقل» (٧/ ٤٥٣).
(٢) «طبقات الحنابلة» (١/ ٣٨٢).
(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٤٥٣٢)، والطبراني في «الكبير» (٨٩٢٧).
(٤) «حلية الأولياء» (٨/ ٨٩).

فمن تحقق بهذين العلمين كان علمه علمًا نافعًا، وحصل له العلم النافع، والقلب الخاشع، والنفس القانعة، والدعاء المسموع. ومن فاته هذا العلم النافع وقع في الأربع التي استعاذ منها النبي ﷺ وصار علمه وبالاً وحجة عليه، فلم ينتفع به؛ لأنه لم يخشع قلبه لربه، ولم تشبع نفسه من الدنيا، بل ازداد عليها حرصًا ولها طلبًا، ولم يُسمع دعاؤه لعدم امتثاله لأوامر ربه وعدم اجتنابه لما يسخطه ويكرهه، هذا إن كان علمه علمًا يمكن الانتفاع به، وهو المتلقى عن الكتاب والسنة؛ فإن كان مُتلَّقى من غير ذلك فهو غير نافع في نفسه، ولا يمكن الانتفاع به، بل ضره أكثر من نفعه»[1].

وانظر شاهد العلم النافع في شيخنا ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ تجده ماثلاً في خشيته لله جَلَّ وَعَلَا، فقد كان ذا قلب حيٍّ ونفس قانعة، ولسانًا ذاكرًا، في انقطاع من الدنيا، وإقبال على الآخرة، مع علم متين، ومعرفة بالله جَلَّ وَعَلَا، وما يحبه وما يكرهه، وجهاد في تبليغ العلم، وغَيرة على التوحيد وحماية للشريعة، فقد كان أمَّة لوحده رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغفر له.



وفيه يتمثل قول الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العلم الذي هو سبب القرب من الله تعالى هو الذي يورث الخشية»[2]. فقد كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ عالمًا خاشعًا، ذا خشية وإخبات.



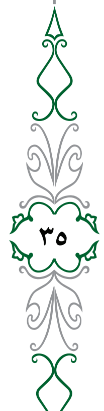
(١) «مجموع رسائل ابن رجب» (٣/ ٢٩).

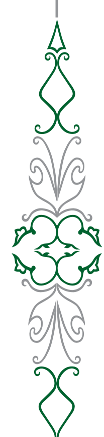
(٢) «مفاتيح الغيب» (٢/ ٤٠٧).

والمقصود: التذكير بأهمية أعمال القلوب وأنها من العلم الجليل الذي عرف سلفنا الصالح قدره، فلا ينشغل طالب العلم بظاهر العلم وينسى طويته وسريرته، فإنَّ الشأن كل الشأن ما ينفع طالب العلم من العلم الذي يصلح قلبه، وينير بصيرته، فلا يتكلّف ما لا يعنيه، ولا يغفل عمَّا أمامه من حساب في الآخرة.

وتأمل قول ابن القيم ﵀: «فمن الناس من تكون له القوة العلمية الكاشفة عن الطريق ومنازلها وأعلامها وعوارضها ومعاثرها، وتكون هذه القوة أغلب القوتين عليه، ويكون ضعيفًا في القوة العملية يبصر الحقائق ولا يعمل بموجبها، ويرى المتالف والمخاوف والمعاطب ولا يتوقاها، فهو فقيه ما لم يحضر العمل فإذا حضر العمل شارك الجهال في التخلف وفارقهم في العلم وهذا هو الغالب على أكثر النفوس المشتغلة بالعلم، والمعصوم من عصمة الله، فلا قوة إلا بالله»[1].

ومن الآيات الدالة على فضل العلم: قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل





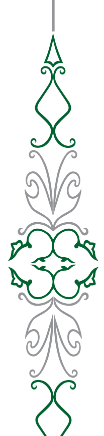
(١) «طريق الهجرتين» (١/ ٤٠٠).

﴿لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البَقَرَة: ٣١-٣٣].

فإن الله لما خلق آدم عليه السلام وجعل خَلْقه في أحسن تقويم وأتمَّه، علَّمه أسماء كلِّ شيء(١)، ثم أمره أن يعلِّم الملائكة عليهم السلام ما جهلوه، فأظهر الله فضله عليهم بالعلم والتعليم.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لمَّا أخبر [جَلَّ وَعَلَا] ملائكته بأنه يريد أن يجعل في الأرض خليفة، قالوا له: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البَقَرَة: ٣٠-٣٣] إلى آخر قصة آدم وَأَمْر الملائكة بالسجود لآدم، فأبى إبليس فلعنه وأخرجه من السَّماء، وبيان فضل العلم من هذه القصة من وجوه:

أحدها: أنه سبحانه ردَّ على الملائكة لما سألوه: كيف يجعلُ في الارض من هم أطوع له منه؟ فقال: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا




---

(١) **ينظر**: «تفسير البغوي» (١/ ٨٠).

﴿لَا تَعْلَمُونَ﴾، فأجاب سؤالهم بأنه يعلمُ من بواطن الأمور وحقائقها مالا يعلمونه، وهو العليم الحكيم، فظهر مِن هذا الخليفة مِن خِيار خلقه، ورسله، وأنبيائه، وصالحي عباده، والشهداء، والصديقين، والعلماء، وطبقات أهل العلم والايمان مَن هو خير من الملائكة، وظهر مِن إبليس مَن هو شرُّ العالمين.

فأخرج سبحانه هذا وهذا، والملائكة لم يكن لها علمٌ لا بهذا ولا بهذا، ولا بما في خلق آدم وإسكانه الارض من الحكم الباهرة.

الثاني: أنه سبحانه لما أراد إظهار تفضيل آدم وتمييزه فضَّله وميَّزه عليهم بالعلم، فعلمه الأسماء كلها، ثم عرضهم على الملائكة، فقال: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾.

جاء في التفسير أنهم قالوا: لن يخلق ربنا خلقًا هو أكرم عليه مِنَّا[1]، فظنوا أنهم خيرٌ وأفضل من الخليفة الذي يجعله الله في الأرض، فلمَّا امتحنهم بعلم ما علَّمه لهذا الخليفة أقرُّوا بالعجز، وجَهْل ما لم يعلموه، فقالوا: ﴿سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾، فحينئذ أظهر لهم فضل آدم بما خصه به من العلم، فقال: ﴿يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ﴾، فلما أنبأهم بأسمائهم أقروا له بالفضل.





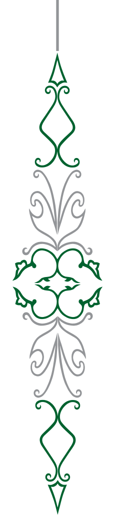
(١) ينظر: تفسير الطبري» (١/ ٤٦٣).

الثالث: أنه سبحانه لما عرَّفهم فضل آدم بالعلم وعجزهم عن معرفة ما علَّمه، قال لهم: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾، فعرَّفهم سبحانه نَفْسَه بالعلم، وأنه أحاط علمًا بظاهرهم وباطنهم، وبغيب السموات والأرض، فتعرَّف إليهم بصفة العلم، وعرَّفهم فضل نبيِّه وكليمه بالعلم، وعجزهم عمَّا آتاه آدم من العلم، وكفى بهذا شرفًا للعلم.

الرابع: أنه سبحانه جعلَ في آدم من صفات الكمال ما كان به أفضل من غيره من المخلوقات، وأراد سبحانه أن يُظهر لملائكته فضلَه وشرفه، فأظهر لهم أحسن ما فيه وهو علمه، فدلَّ على أن العلم أشرف ما في الانسان، وأن فضله وشرفه إنما هو بالعلم»[(١)].

ومن الآيات الدالة على فضل العلم: قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطّلَاق: ١٢].

فأخبر الله ﷻ أنَّه خلق العَالَم علويه وسفليه ليعرف العباد كمال قدرته وإحاطة علمه، وهذا يستلزم معرفته بأنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وهذا أعظم العلم وأوفاه.





---

(١) «منهاج العابدين» (ص٥٩).

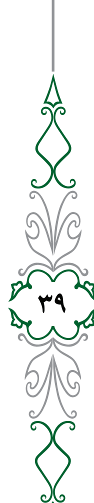
قال الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكفى بهذه الآية دليلاً على شرف العلم، لا سيما علم التوحيد»[1].

فإذا قرنتَ ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، علمت: أنَّ غاية العلمِ العملُ، فالغاية المرادة من العباد: أن يعرفوا ربهم، وهي في قوله تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ﴾، وأن يعبدوه ويوحده، وهي في قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

وعلمت - أيضًا - أن العلم هو الأصل والعمل تابع له، ولذا قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩]، فبدأ بالعلم قبل العمل، ومنزع هذا أمران:

الأول: أن تقديم العلم على العمل فيه سلامة للعبادة من جهة التوحيد والإخلاص، فَعِلْمك بأسماء الله جَلَّ وَعَلَا وصفاته، وقَدَرِه وشرعه، وما يجب على المرء من أوامر شرعية فيفعلها، وما يمتنع عليه من نواهٍ فيجتنبها كل ذلك سبيله العلم، وإلا فكيف يقوم المرء بالطاعة وهو لا يعرف ما هي؟ وما يجب ويحرم فيها؟ وكيف يجتنب معاصٍ لم يعلم أنها معاصي؟

وكذلك التعبد لله بأعمال القلوب من التوكل والخشية والإنابة والرضا والإخلاص.



---

(١) «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٤١).

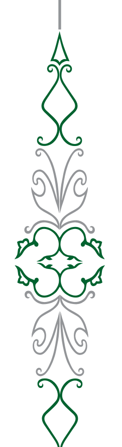
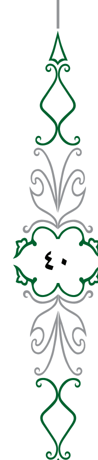
الثاني: أن العلم النافع - كما تقدم - هو الموجب للخشية من الله ﷻ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فَاطِر: ٢٨]، فمن لم يعرف الله حقَّ معرفته لم يهبه حق مهابته، ولم يعظه حق تعظيمه، ولا سبيل لذلك إلا بالعلم. نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من المعظمين له حق تعظيمه.

ومن الآيات الدالة على فضل العلم: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فَاطِر: ٢٨].

فهذه الآية العظيمة تدل على أنَّ العلماء - وهم العلماء بالله وبدينه وبكتابه العظيم وسنة رسوله ﷺ - هم أكمل الناس خشية لله، وأكملهم تقوى لله، وطاعة له سبحانه، وعلى رأسهم الرسل والأنبياء عليهم السلام، ثم أتباعهم بإحسان.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنما يخاف الله فيتقي عقابه بطاعته العلماء بقدرته على ما يشاء من شيء، وأنه يفعل ما يريد؛ لأنَّ من علم ذلك أيقن بعقابه على معصيته، فخافه ورهبه خشية منه أن يعاقبه»(١).

فالعلماء بالله وبدينه، هم أخشى الناس لله، وأتقاهم له، وأقومهم بدينه، وذلك لكمال علمهم بالله، وكمال معرفتهم بالحقِّ، فكانوا أشد الناس خشية لله، وأكثر الناس خوفًا من

(١) «تفسير الطبري» (١٩/ ٣٦٤)

الله، وتعظيمًا له سبحانه وتعالى، «وإنما العالم من يخشى الله تعالى»(١).

وليس معنى الآية: أنه لا يخشى الله إلا العلماء! فإن كل موحد لا بدَّ له من خشية من الله وخوف منه ﷻ، ولكنهم يتفاوتون في ذلك، فكلما كان الموحِّد أعلمَ بالله وأفقَه في دينه كان خوفه من الله أكثر، وخشيته أكمل ممن قلَّ علمه وبصيرته، فالآية دالة على عظيم عبادة الخشية لله، وأن من خشي الله بفعل طاعته وترك معصيته فهو عالم، كما قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ﴾ [الزُّمَر: ٩]. فكل خاشٍ لله فهو عالم.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال أبو حيان التيمي: العلماء ثلاثة: عالم بالله وبأمر الله، وعالم بالله ليس عالمًا بأمر الله، وعالم بأمر الله ليس عالمًا بالله.

فالعالم بالله الذي يخشاه، والعالم بأمر الله الذي يعلم حدوده وفرائضه، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ۗ﴾ [فَاطِر: ٢٨]، وهذا يدل على أنَّ كلَّ من خشي الله فهو عالم، وهو حق، ولا يدلُّ على أنَّ كل عالم يخشاه؛ لكن لما كان العلمُ به موجبًا للخشية عند عدم المعارض كان عدمه دليلاً على ضعف الأصل؛ إذ لو قوي لدفع المعارض»(٢).





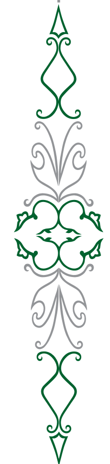
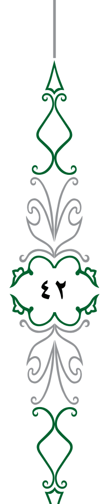
(١) قاله الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «سير أعلام النبلاء» (٧/ ١٥٣).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٧/ ٥٣٩). وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المعنى: أنه لا يخشاه إلا عالم، فقد أخبر الله أن كل من خشي الله فهو عالم». (٧/ ٢١).

فكلما ازدادت معرفة العبد بربه ازدادت هيبته له وخشيته إياه، ولا سبيل لذلك إلا بالعلم الباعث على الخشية وهي الخوف المقرونة بالمعرفة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فَاطِر: ٢٨] يقتضي الحصر من الطرفين: ألا يخشاه إلا العلماء، ولا يكون عالمًا إلا من يخشاه. فلا يخشاه إلا عالم، وما من عالم إلا وهو يخشاه، فإذا انتفى العلم انتفت الخشية، وإذا انتفت الخشية دلت على انتفاء العلم»(١). فكلما كان العبد بالله أعلم كان له أخشى.

ولذا قال النبي ﷺ في الحديث الذي أخرجه مسلم من حديث عُمر بن أبي سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه سأل رسول الله ﷺ: أَيُقَبِّلُ الصائم؟ فقال له رسول الله ﷺ: «**سَلْ هَذِهِ**» لأم سلمة، فأخبرته أن رسول الله ﷺ يصنع ذلك، فقال: يا رسول الله، قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال له رسول الله ﷺ: «**أَمَا وَاللهِ، إِنِّي لَأَتْقَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَخْشَاكُمْ لَهُ**»(٢).

(١) «شفاء العليل» (ص١٧٢).

(٢) مسلم (١١٠٨). قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٧/ ٢١٩): «سبب قول هذا القائل: «قد غفر الله لك» أنه ظن أن جواز التقبيل للصائم من خصائص رسول الله ﷺ، وأنه لا حرج عليه فيما يفعل؛ لأنه مغفور له، فأنكر عليه ﷺ هذا، وقال: أنا أتقاكم لله تعالى، وأشدكم خشية، فكيف تظنون بي أو تجوزون علي ارتكاب منهي عنه ونحوه؟! وقد جاء في هذا الحديث في غير مسلم أن النبي ﷺ غضب حين قال القائل هذا القول، وجاء في الموطأ فيه: يحل الله لرسوله ما شاء».

فضل العلم في السنة النبوية

أما فضل العلم في السنة النبوية: فقد تتابع جمعٌ من أهل العلم الذين دَوَّنوا السنة على وضع أبوابٍ حاثة على العلم والتعلم وذكر فضله، ومن ذلك:

الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه، فقال: (باب فضل العلم).

الإمام النسائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سننه الكبرى، فقال: (باب فضل العلم).

الإمام ابن ماجه رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سننه، فقال: (باب فضل العلماء والحث على طلب العلم).

الإمام الترمذي في جامعه، فقال: (باب فضل العلم).

الإمام أبو داود في «سننه»، فقال: (باب الحث على طلب العلم).

الإمام الدارمي في مسنده، فقال: (باب في فضل العلم والعالم).

الإمام البيهقي في «المدخل إلى علم السنن»، فقال: (باب فضل العلم).

الإمام البغوي في «شرح السنة»، فقال: (باب فضل العلم).



وقد جاءت السنة النبوية بتبيان فضل العلم، والحثِّ عليه، والترغيب في طلبه، والتذكير بمنزلة أهله في أحاديث كثيرة شهيرة.

فمن الأحاديث الدالة على فضل العلم: ما أخرجه البخاري ومسلم عن معاوية ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِيْ الدِّيْنِ»[1].

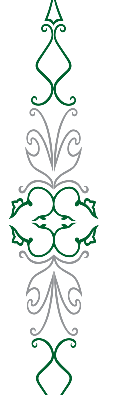
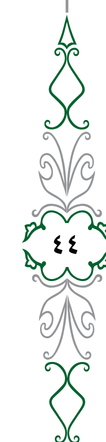
ففي هذا الحديث فضل التفقه في الدين الذي بُعث به النبي ﷺ، وأنَّ العلم النافع علامةٌ على سعادة العبد، وأنّ الله أراد به خيرًا، وأن من صرفه الله عن ذلك كان دلالة شرٍّ له. وإنما ثبت فضله؛ لأنه يقود إلى خشية الله، والتزام طاعته، وتجنب معاصيه، فغاية العلم العمل به[2].

والمقصود بالفقه هاهنا عموم العلم الشرعي وما اتصل به، لا الفقه الاصطلاحي.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: «الفقه في الدين يشمل: الفقه في أصول الإيمان، وشرائع الإسلام والأحكام،

(١) البخاري (٧١)، مسلم (١٠٣٧). قوله: «**يُفَقِّهْهُ**» أي: يُفهمه، يقال: فَقُه - بالضم - إذا صَار الفقه له سجية، وفَقَه - بالفتح - إذا سبق غيره إلى الفهم، وفَقِهَ - بالكسر - إذا فهم.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وكل من أراد الله به خيرًا لا بدَّ أن يفقهه في الدين، فمن لم يفقهه في الدِّين لم يرد الله به خيرًا، وليس كل من فقهه في الدين قد أراد به خيرًا بل لا بد مع الفقه في الدين من العمل به، فالفقه في الدين شرط في حصول الفلاح فلا بد من معرفة الرب تعالى، ولا بد مع معرفته من عبادته» «الصفدية» (٢/ ٢٦٦)، **وينظر**: «مجموع الفتاوى» (١٦/ ١٠)، (٢٠/ ٢١٢).

وحقائق الإحسان، فإن الدِّين يشمل الثلاثة كلها؛ كما في حديث جبريل لما سأل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان، وأجابه ﷺ بحدودها، ففسر الإيمان بأصوله الستة، وفسر الإسلام بقواعده الخمس، وفسر الإحسان بـ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»[1].

فيدخل في ذلك: التفقه في العقائد، ومعرفة مذهب السلف فيها، والتحقق به ظاهرًا وباطنًا، ومعرفة مذاهب المخالفين، وبيان مخالفتها للكتاب والسنة.

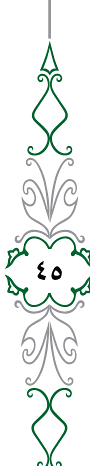
ودخل في ذلك: علم الفقه، أصوله وفروعه، أحكام العبادات والمعاملات، والجنايات وغيرها.

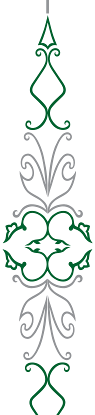
ودخل في ذلك: التفقه بحقائق الإيمان، ومعرفة السير والسلوك إلى الله، الموافقة لما دل عليه الكتاب والسنة.

وكذلك يدخل في هذا: تعلُّم جميع الوسائل المعينة على الفقه في الدين كعلوم العربية بأنواعها.

فمن أراد الله به خيرًا فقهه في هذه الأمور، ووفقه لها.

ودلّ مفهوم الحديث على أن من أعرض عن هذه العلوم بالكلية فإن الله لم يرد به خيرًا، لحرمانه الأسباب التي تنال بها الخيرات، وتكتسب بها السعادة»[2].





---

(١) أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) «مجموع مؤلفات العلامة عبد الرحمن السعدي» (٥/ ٢٩). قال ابن حجر رحمه الله: «ومفهوم الحديث أن من لم يتفقه في الدِّين أيْ: يتعلَّم قواعد الإسلام وما =

فالعلم فضل من الله يرزقه بعض عباده، كما قال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنما العلم مواهب، يؤتيه الله مَن أَحبَّ مِن خَلْقه، وليس يناله أحد بالحَسب، ولو كان بالحَسب كان أولى الناس به أهل بيت رسول الله ﷺ»[1].

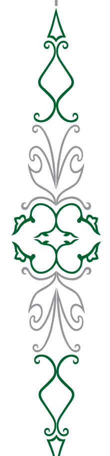
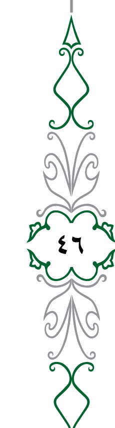
ومن الأحاديث الدالة على فضل العلم: ما أخرجه الشيخان عن أبي موسى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الهُدَى وَالعِلْمِ، كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا: فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ المَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الكَلأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ؛ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلأً. فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ**»[2].

بوَّب الإمام البخاري على هذا الحديث بقوله: «باب فضل من عَلِمَ وعلَّم»، وقد ضرب النبي ﷺ لما جاء به من

= يتصل بها من الفروع، فقد حُرم الخير. وقد أخرج أبو يعلى حديث معاوية من وجه آخر ضعيف، وزاد في آخره: «**ومن لم يتفقه في الدّين لم يبال الله به**»، والمعنى صحيح؛ لأنَّ من لم يعرف أمور دينه لا يكون فقيهًا ولا طالب فقه، فيصح أن يوصف بأنه ما أريد به الخير». «فتح الباري» (١/ ١٦٥).

(١) «الآداب الشرعية والمنح المرضية» (٢/ ١٥٢).

(٢) البخاري (٧٩)، مسلم (٢٢٨٢). قوله: «**نقيَّة**» أي: طيبة، وهي رواية مسلم، وقوله: «**أجادب**» أي: التي لا تنبت كلأ، وقوله: «**قيعان**» جمع (قاع)، وهو الأرض المستوية، وقيل: الملساء، وقيل: التي لا نبات فيها.

الدِّين والهدى والعلم بالغيث العام الذي يأتي الناس في حال حاجتهم إليه، فكما أن الغيث يحيي البلد الميت، فكذلك علوم الدِّين تحيي القلب الميت، ولهذا سمَّى الله ﷻ ما بعث به محمدًا ﷺ روحًا؛ فقال ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشّورىٰ: ٥٢-٥٣].

ثمَّ شَبَّه السَّامعين له والمتلقين عنه بالأرض المختلفة التي ينزل بها الغيث بثلاثة أنواع:

النوع الأول: العَالم العَامِل بعمله المُعلِّم لغيره، فهو بمنزلة الأرض الطيبة، شَربت الماء فانتفعت في نفسها، وأنبتت الكلأ، فنفعت غيرها، فهؤلاء هم الذين يبلغهم الهدى والعلم فيحفظونه، فتحيا قلوبهم ويعملون به، ويعلِّمونه غيرهم.

النوع الثاني: الجامع للعلم لكنه لم يتفقه فيما جمع وإنَّما أدَّاه لغيره، فهو بمنزلة الأرض التي لا ينبت فيه الكلأ، ولكن الماء استقرَّ فيها فانتفع الناس بهذا الماء، فهؤلاء لهم قلوب حافظة، لكن ليست لهم أفهام ثاقبة، ولا رسوخ لهم في العقل؛ بحيث يستنبطون به المعاني والأحكام[1]، وليس





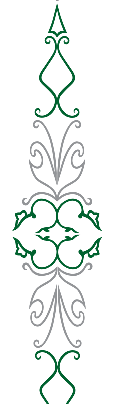
(١) والعلماء متفاوتون في الفهم عن الله ورسوله أعظم تفاوت، فربَّ عالم يستنبط من النص حكمًا أو حكمين، ومنهم من يستنبط منه عشرات الأحكام.
قال ابن حجر ﵀ في سياق شرحه لحديث: «**يَا أَبَا عُمَيْرٍ! مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ؟**» [البخاري ٦١٢٩)، مسلم (٢١٥٠)]: «وفي هذا الحديث عدة فوائد جمعها

عندهم اجتهاد في الطاعة، ولا بالعمل به، وإنما هم حَفَظَة له، فإذا أتاهم طالبَ علم أخذه منهم، فكان نفعهم في تبليغ العلم، كما جاء في الحديث الآخر: «**نَضَّرَ اللهُ أُمْرأً سَمِعَ مَقَالَتِيْ فَأَدَّاهَا كَمَا سَمِعَهَا**»(١). وهذان النوعان هم السعداء، والأول أرفع درجة وأعلى قدرًا.

النوع الثالث - وهم الأشقياء -: من يسمع العلم فلا يحفظه ولا يعمل به ولا ينقله لغيره فهو بمنزلة الأرض السبخة أو الملساء التي لا تقبل الماء بل قد تفسده على غيرها، فهؤلاء ليست لهم قلوب حافظة، ولا أفهام واعية، فإذا

= أبو العباس أحمد بن أبي أحمد الطبري، المعروف بابن القاص، الفقيه الشافعي صاحب التصانيف في جزء مفرد، بعد أن أخرجه من وجهين عن شعبة عن أبي التياح، ومن وجهين عن حميد عن أنس، ومن طريق محمد بن سيرين. وقد جمعتُ في هذا الموضع طرقه، وتتبعت ما في رواية كل منهم من فائدة زائدة. وذكر بن القاص في أول كتابه أن بعض الناس عاب على أهل الحديث أنهم يروون أشياء لا فائدة فيها، ومثَّل ذلك بحديث أبي عمير هذا قال: وما درى أن في هذا الحديث من وجوه الفقه وفنون الأدب والفائدة ستين وجهًا، ثم ساقها مبسوطة، فلخصتها مستوفيًا مقاصده ثم أتبعته بما تيسر من الزوائد عليه»، إلى أن قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «ثم قال - أي ابن القاص -: وفيما يسَّره الله تعالى من جمع طرق هذا الحديث، واستنباط فوائده ما يحصل به التَّمييز بين أهل الفهم في النقل وغيرهم ممن لا يهتدي لتحصيل ذلك، مع أن العين المستنبط منها واحدة، ولكن من عجائب اللطيف الخبير أنَّها تسقى بماء واحد، ونفضل بعضها على بعض في الأكل». «فتح الباري» (١٠/ ٥٨٥).

(١) أخرجه أحمد (١٦٧٣٨)، وابن ماجه (٣٠٥٦)، وأبو داود (٣٦٦٠)، والترمذي (٢٦٥٦)، والنسائي في «الكبرى» (٥٨١٦)، وقد رواه عشرين صحابيًا بألفاظ متقاربة، وذكره بعض أهل العلم في الأحاديث المتواترة. ينظر: «نظم المتناثر من الحديث المتواتر» (ص٣٣).




سمعوا العلم لا ينتفعون به، ولا يحفظونه لنفع غيرهم[1].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «اشتمل هذا الحديثُ الشريف العظيم على التنبيه على شرف العلم والتعليم، وعِظَم موقعه، وشقاء من ليس من أهله، وذكر أقسام بني آدم بالنسبة فيه إلى شقيِّهم وسعيدهم، وتقسيم سعيدهم إلى: سابق مقرب، وصاحب يمين مقتصد.

وفيه دلالةٌ على أنَّ حاجة العباد إلى العلم كحاجتهم الى المطر، بل أعظم، وأنهم إذا فقدوا العلمَ فهم بمنزلة الأرض التي فقدت الغيث»[2].

---

(١) **ينظر**: «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٥/ ٤٧)، «المفهم مما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (٦/ ٨٣)، «مجموع الفتاوى» (١٧/ ٥٢٨)، «الرسالة التبوكية» (ص٥٥)، «فتح الباري» (١/ ١/ ١٧٦)، «عمدة القاري» (٢/ ٧٩)، «إرشاد الساري» (١/ ١٧٩)، «مرعاة المفاتيح» (١/ ٢٤٧).

وذهب بعض أهل العلم أن تقسيم الأرض، وإن كان ثلاثة - بحسب الظاهر - لكنه في الحقيقة قسمان؛ لأن النوعين محمودان، والثالث مذموم، وتقسيم الناس نوعان: **أحدهما ممدوح**، أشار إليه بقوله: «**مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الهُدَى وَالعِلْمِ، كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا: فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ المَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الكَلَأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ؛ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا**» **والآخر**: مذموم، أشار إليه بقوله: «**وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً**»، قال الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «ذكر في أصل المثل ثلاث طوائف، وفي التفريع اقتصر على طائفتين؛ لأنه جعل الأُوْلَيَن في التفريع شيئًا واحدًا هو المنتفع بما بعث به الرسول ﷺ، وإن اختلف النفع قد جمعهما حصول أصله» «التحبير لإيضاح معاني التيسير» (١/ ٢٧٧).

(٢) «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٦٤).





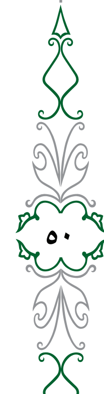
فالحمد لله الذي أرسل إلينا رسولاً من أنفسنا، يتلو علينا آيات ربِّنا، ويزكِّينا، ويعلمنا الكتاب والحكمة، وإن كنا من قبل لفي ضلال مبين.

ومن الأحاديث الدالة على فضل العلم: ما أخرجه أحمد وأصحاب السنن عن أبي الدرداء ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ المَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضَاءً لِطَالِبِ العِلْمِ، وَإِنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ حَتَّى الحِيتَانُ فِي المَاءِ، وَفَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ، كَفَضْلِ القَمَرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ، وإِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**»(١).

فهذا الحديث من أعظم الأحاديث ترغيبًا في طلب العلم، وحثًا على نشر العلم وتبليغه.

فقوله ﷺ: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ**»، سلوك هذا الطريق - لالتماس العلم - يشمل:

❋ سلوك الطريق الحقيقي، وهو المشي بالأقدام إلى مجالس العلم والعلماء.

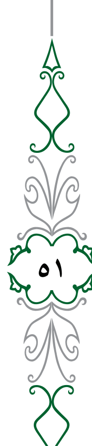
---

(١) أخرجه أحمد (٢١٧١٥)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، وأبو داود (٣٦٤١)، وصححه ابن حبان (٨٨)، والألباني في «صحيح الجامع» (ح٦٢٩٧).

* وسلوك الطُّرق المعنوية المؤدية إلى حصول العلم، مثل حفظه، ودراسته، ومذاكرته، ومطالعته، وكتابته، والتفهم له، ومنه استماعه عن طريق التقنيات الحديثة، ونحو ذلك من الطرق المعنوية التي يتوصل بها إلى العلم.

قال شيخنا ابن باز رحمه الله: «فكل طريق يسلكه في طلب العلم فهو طريق إلى الجنة، ويعمُّ ذلك جميع الطرق الحسية والمعنوية: فسفره من بلاد إلى بلاد أخرى، وانتقاله له من حلقة إلى حلقة، ومن مسجد إلى مسجد بقصد طلب العلم؛ فهذا كله من الطرق لتحصيل العلم. وهكذا المذاكرة في كتب العلم والمطالعة والكتابة، كلها من الطرق أيضًا... حتى نومه من طُرق الجنة، إذا نام ليتقوَّى على طلب العلم، وأداء الدرس كما ينبغي، ليتقوَّى على حفظ كتاب في العلم، ليتقوَّى على السفر في طلب العلم، فنومه عبادة، وسفره عبادة، وتصرفاته الأخرى بهذه النية عبادة»[1].

وقوله: «سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيْقًا إِلَى الْجَنَّةِ» وذلك أن العلم لا يراد لذاته، وإنما يراد ثمرته وهو العمل والإخلاص، فإذا اقترن العِلم بالعَمل سهَّل طريق العبد إلى الجنة بإذن الله تعالى.




وإذا طلب العبد العلم فقد سعى في أعظم ما ينصحُ به عبادَ الله، فلذلك تحبه الملائكة، وتعظِّمه، حتى تضع أجنحتها

(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢/ ٣٠٦).

له تواضعًا له، وتوقيرًا، وإكرامًا؛ لما يحمله ويطلبه من ميراث النبوة.

قال أبو حاتم الرازي سمعت ابن أبي أويس يقول: سمعت مالك بن أنس يقول: «معنى قول رسول الله: «**تَضَعُ أَجْنِحَتَهَا**»، يعني: تبسطها بالدُّعاء لطالب العلم بدلاً من الأيدي»[1].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «فلو لم يكن لطالب العلم إلا هذا الحظُّ الجزيلُ لكفى به شرفًا وفضلاً»[2].

وقال رَحِمَهُ اللهُ: «ولو لم يكن في العلم إلا القرب من ربِّ العالمين، والالتحاق بعالم الملائكة، وصحبة الملأ الأعلى؛ لكفى به فضلاً وشرفًا، فكيف وعزُّ الدنيا والآخرة منوط به ومشروط بحصوله؟!»[3].

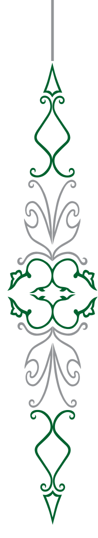
وقوله ﷺ: «**وَإِنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ**

---

(١) **ينظر**: «تفسير الطبري» (٢١/ ٣٥٧). قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: «وقد اختلف الناس في تأويل وضع الملائكة أجنحتها، **فمنهم**: من حمله على ظاهره، وأن المراد فرش الأجنحة وبسطها لطلاب العلم لتحملهم عليها إلى مقاصدهم من الأرض التي يطلبون فيها العلم؛ إعانة لهم على الطلب وتيسيره عليهم، **ومنهم**: من فسَّر وضع الملائكة أجنحتها بالتواضع لهم، والخضوع لطلاب العلم، وفي هذا نظر؛ لأن للملائكة أجنحة حقيقة بخلاف البشر، **ومنهم**: من فسَّر ذلك بأن الملائكة تحف بأجنحتها مجالس الذكر إلى السماء، ولعل هذا القول أشبه، والله أعلم». «رسائل ابن رجب» (١/ ٢٧) بتصرف يسير. وسئل عن ذلك شيخنا ابن باز رَحِمَهُ اللهُ فقال: «الله أعلم».

(٢) «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٧٤).

(٣) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٢٨٦).



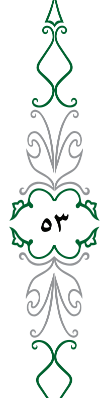
وَمَنْ فِي الأَرْضِ حَتَّى الحِيتَانُ فِي المَاءِ، وَفَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ، كَفَضْلِ القَمَرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ»، أخبر الله في كتابه باستغفار ملائكة السماء للمؤمنين عمومًا في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [غافر: ٧]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ [الشورى: ٥]، فهذا للمؤمنين عمومًا، وأما العلماء فيستغفر لهم أهل السماء وأهل الأرض حتى الحيتان في البحر، وفي الحديث الآخر: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرَ»[١].

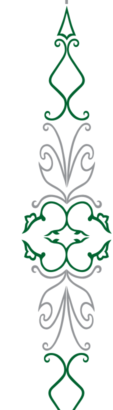
وقد دلَّ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ۝٤٢ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٣] على أن الله وملائكته يصلُّون[٢] على أهل الذكر، والعلم من أفضل أنواع الذكر.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٨٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٧٩١٢)، وتمام في «فوائده» (١٢٤٣)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٨٣) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (ح٤٢١٣).

(٢) قال ابن كثير رحمه الله: «قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ [الأحزاب: ٤٣]: هذا تهييج إلى الذكر، أي: إنه سبحانه يذكركم فاذكروه أنتم، كقوله تعالى: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ۝١٥١ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥١-١٥٢]. وقال النبي ﷺ: «يَقُولُ اللهُ: =





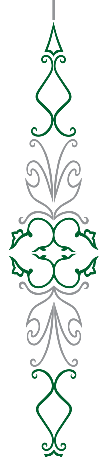
وقوله: «**وَفَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ، كَفَضْلِ القَمَرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ**»، والمقصود بذلك العالم العامل، كما أن المقصود بالعابد العابد بعلم، فأما العابد بغير علم؛ فإنه مذموم، ويشهد لذلك الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفسًا فاستفتى عابدًا: أَلَهُ توبة؟ فقال: لا! فأكمل به المائة، ثم ذهب إلى عالم واستفتاه، فقال: ومَن يحول بينك وبين التوبة(١)؟! وهذا الفارق بينهما.

وفي تشبيه العالم بالقمر على سائر الكواكب معان لطيفة:

منها: أن القمر يضيء الآفاق، ويمتد نوره في أقطار العالم، وهذه حال العالم. وأمَّا الكوكب فنوره لا يجاوز نفسه أو ما قرب منه، وهذه حال العابد الذي يضيء نور عبادته عليه دون غيره، وإن جاوز نور عبادته غيره فإنما يجاوزه غير بعيد، كما يجاوز ضوء الكوكب له مجاوزة يسيرة.

= **مَنْ ذَكَرَنِيْ فِيْ نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِيْ نَفْسِيْ، وَمَنْ ذَكَرَنِيْ فِيْ مَلأٍ ذَكَرْتُهُ فِيْ مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ**»، والصلاة من الله ثناؤه على العبد عند الملائكة، حكاه البخاري عن أبي العالية. ورواه أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عنه...، وأمَّا الصلاة من الملائكة، فبمعنى الدعاء للناس والاستغفار، كقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [غافر: ٧-٩]». «تفسير ابن كثير» (٦/ ٤٣٦).

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧٠)، ومسلم (٢٧٦٦) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

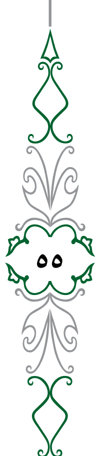



ومنها: أن الجهل كالليل في ظلمته وجنسه، والعلماء والعباد بمنزلة القمر والكواكب الطالعة في تلك الظلمة، وفضل نور العالم فيها على نور العابد كفضل نور القمر على الكواكب.

ومنها: أن الدِّين قوامه وزينته وإضاءته بعلمائه وعُبَّاده، فإذا ذهب علماؤه وعُبَّاده ذهب الدين؛ كما أن السماء إضاءتها وزينتها بقمرها وكواكبها، فإذا خسف قمرها وانتشرت كواكبها أتاها ما توعد، وفضل علماء الدِّين على العُبَّاد كفضل ما بين القمر والكواكب.

ومنها: أنه لما كان الرسول ﷺ سراجًا منيرًا كما قال تعالى: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٦]، يشرق نوره على الأرض، كان العلماء الذين هم ورثته وخلفاؤه في العلم مشبَّهين بالقمر الذي يقل نوره ويكثر، وهكذا حال العلماء القابسين من نور علمه ﷺ، فيفضل كلٌّ منهم في علمه بحسب كثرته وقلته وظهوره وخفائه، فعالمٌ كالبدر، وآخر دونه، وما بعده أقل منه، وهم درجات عند الله.





وقد دل قوله ﷺ: «**وَفَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ، كَفَضْلِ القَمَرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ**»، على تفضيل العلم على العبادة تفضيلاً بينًا، وهكذا جاءت نصوص الشريعة الأخرى، ومنها قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزُّمَر: ٩]. وقوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ

دَرَجَٰتٍۚ﴾ [المجَادلة: ١١]، قال ابن مسعود رضي الله عنه: «مدح الله العلماء في هذه الآية»، والمعنى: أن الله يرفع الذين أوتوا العلم من المؤمنين على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم درجات في دينهم؛ إذا فعلوا ما أمروا به[1]. والمقصود بالعلم - كما قال الإمام أحمد - العلم الذي يَنتفع به الناس في أمر دينهم[2].

ومما روي عن سادات السلف الصالح: ما نُقل عن أبي هريرة وأبي ذر رضي الله عنهما أنهما قالا: «لَبابٌ من العلم يتعلَّمُه الرجل أحبُّ إلينا من ألف ركعة تطوعًا»[3].

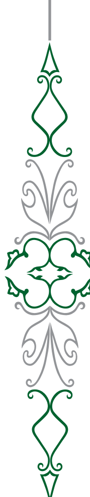
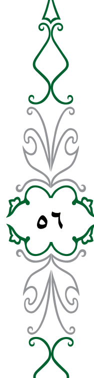
وقال أبو هريرة رضي الله عنه: «لأن أعلم بابًا من العلم في أمر أو نهي أحبُّ إليَّ من سبعين غزوة في سبيل الله عز وجل»[4].

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: «تذاكر العلم بعضَ ليلة أحبُّ إليَّ من إحيائها»[5].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «لأن أجلس في مجلسِ فقهٍ ساعةً، أحبُّ إليَّ من صيام يوم وقيام ليلة»[6].

وجاء رجل إليه رضي الله عنه، فقال: يا أبا عبد الرحمن! أيُّ الأعمال أفضل؟ قال: العلم، ثم سأله: أيُّ الأعمال أفضل؟

(١) «تفسير القرطبي» (١٧/ ٢٩٩).
(٢) «مسائل الكوسج» (٢/ ٥٢٨).
(٣) «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٥٢).
(٤) «الفقيه والمتفقه» (١/ ١٠٢).
(٥) «المدخل» للبيهقي (١٥٦٥).
(٦) «المدخل» (١٥٦٨).

قال: العلم. قال: إنما أسألك عن أفضل الأعمال وأنت تقول العلم؟! قال: ويحك! إنَّ مع العلم بالله تعالى ينفعُك قليل العمل وكثيره، ومع الجهل بالله لا ينفعُك قليل العمل وكثيره[1].

وعن أبي موسى الأشعري ﵁ قال: «لمجلس أجلسه من عبد الله بن مسعود أوثق في نفسي من عمل سنة»[2].

وقال الحسن البصري ﵀: «لأن أتعلم بابًا من العلم فأعلِّمه مسلمًا أحب إلي من أن تكون لي الدنيا كلها أجعلها في سبيل الله ﷻ»[3].

وقال سفيان الزهري ﵀: «تَعليم سُنَّة خير من عبادة مائتي سنة»[4].

وقال ﵀: «ما عُبدَ الله بمثل الفقه»[5].

وقال ﵀: «لا نعلم شيئًا من الأعمال أفضل من طلب العلم والحديث لمن حسنت فيه نيته. قيل له: وأي شيء النية فيه؟ قال: يريد الله والدار الآخرة»[6].

وقال ﵀: «لا أعلم من العبادة شيئًا أفضل من أن تُعلِّم الناس العلم»[7].

(١) «المدخل» (١٥٧٣).
(٢) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٤٩٣).
(٣) «الفقيه والمتفقه» (١/ ١٠٢).
(٤) «الثقات» لابن حبان (٨/ ٤١٧).
(٥) «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ١١٩).
(٦) «المدخل» (١٥٧٦).
(٧) «المدخل» (١٥٧٧).



وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ليس عمل بعد الفرائض أفضل من طلب العلم»[(١)].

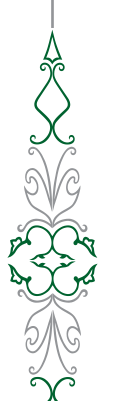
وقيل لعبد الله بن المبارك: لو قيل لكَ: لم يبقَ من عمرك إلا يوم، ما كنت صانعًا؟ قال: كنت أعلِّم الناس[(٢)].

---

(١) «شرح السنة» (٦/ ٣٦٣).

(٢) «المدخل» (١٥٧٩) .**وقد وقع هذا لبعض علماء السلف والخلف. أما علماء السلف**: فقد قال أبو حاتم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في: «مقدمة الجرح والتعديل» (**١/ ٣٤٥**): «باب ما ظهر لأبي زرعة من سَيِّد عمله عند وفاته. حدثنا عبد الرحمن قال سمعت أبي يقول: مات أبو زرعة مطعونًا مبطونًا، يَعرق جبينه في النزع فقلت لمحمد بن مسلم: ما تحفظ في تلقين الموتى لا إله إلا الله؟ فقال محمد بن مسلم: يُروى عن معاذ بن جبل. فمن قبل أن يستتم رفع أبو زرعة رأسه وهو في النزع فقال: روى عبد الحميد بن جعفر عن صالح بن أبي عريب عن كثير بن مرة عن معاذ عن النبي ﷺ: «**مَنْ كَانَ آخِرُ كَلامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهَ دَخَلَ الْجَنَّةَ**» [أحمد (٢٢٠٣٤)، أبو داود (٣١١٦)]، فصار البيت ضجة ببكاء من حضر»، وهي عند الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (**١٢/ ٣٣**) بسياق آخر وفيه فائدة، فروى بسنده عن أبي جعفر التستري قال: «حَضَرْتُ أبا زرعة، وكان في السَّوْق، وعنده أبو حاتم، ومحمد بن مسلم، والمنذر بن شاذان، وجماعة من العلماء، فذكروا حديث التلقين وقوله ﷺ: «**لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**» [مسلم (٩١٧)]، قال: فاستحيوا من أبي زرعة وهابوا أن يُلَقِّنوه، فقالوا: تعالوا نذكر الحديث، فقال محمد بن مسلم: حدثنا الضحاك بن مخلد، عن عبد الحميد بن جعفر، عن صالح، وجعل يقول، ولم يجاوز. وقال أبو حاتم: حدثنا بندار، قال: حدثنا أبو عاصم، عن عبد الحميد بن جعفر، عن صالح، ولم يجاوز. والباقون سكتوا، فقال أبو زرعة - وهو في السَّوْقِ - حدثنا بندار، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عبد الحميد بن جعفر، عن صالح بن أبي عريب، عن كثير بن مرة الحضرمي، عن معاذ بن جبل، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ**»، وتوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ».

وقال القرشي في «الجواهر المضية في طبقات الحنفية» (**١/ ٣٦**) في ترجمة: إبراهيم بن الجراح بن صبيح التميمي - وهو آخر من روى عن أبي يوسف - قال: «أتيته أعوده فوجدته مغمى عليه، فلما أفاق قال لي: يا إبراهيم! =




وقال الشافعي رحمه الله: «طلب العلم أفضل من صلاة نافلة»[(١)].

ورأى مالك بعض أصحابه يكتب العلم ثم تركه وقام يصلي، فقال: «عجبًا لك! ما الذي قمتَ إليه بأفضل من الذي تركته»[(٢)].

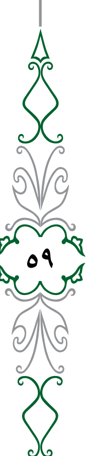
= أيما أفضل في رمي الجمار: أن يرميها الرجل راجلاً أو راكبًا فقلت: راجلاً، فقال: أخطأت. فقلت: راكبًا، فقال لي: أخطأت. ثم قال: أمَّا ما كان يُوقف عنده للدعاء فالأفضل أن يرميه راجلاً، وأمَّا ما كان لا يوقف عند فالأفضل أن يرميه راكبًا. ثم قمتُ من عنده فمَا بلغت باب داره حتى سمعت الصُّراخ عليه، وإذا هو قد مات». وينظر في خلاف أهل العلم في المسألة التي ذكرها أبو يوسف رحمه الله «المبسوط» (٤/ ٢٣) وذكر القصَّة، «الذخيرة» (٣/ ٢٦٤)، «المجموع» (٣/ ١٨٣)، «كشاف القناع» (٢/ ٤٩٨).

وقال السخاوي عن شيخه ابن حجر رحمهما الله: «أما صبره على الطلبة، فشيء لا يدرك وصفه، حتى إنه مكث في مرض موته مُدَّة وهو لا يعلم بعض من يقرأ عليه ليلاً بذلك، مراعاة لخاطره، وهو يتحمل المشقة إلى أن أعيي، فأعلمه بلطف». «الجواهر والدرر» (٣/ ١٠١٨).

وأما علماء الخلف: فتأمل ما كان من حرص الشيخين الجليلين، زينة الدنيا في زمانهما: شيخنا ابن باز، وشيخنا ابن عثيمين رحمهما الله على التعليم مع اشتداد المرض عليهما إلى آخر أيامهما.

(١) «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ١٢٣). وللذهبي رحمه الله رأي يجمع الأمرين: «فمن كان مخلصًا لله في طلب العلم، وذهنه جيد، فالعلم أولى، ولكن مع حظ من صلاة وتعبد، فإن رأيته مجدًا في طلب العلم لا حظ له في القربات، فهذا كسلان مهين، وليس هو بصادق في حسن نيته، وأما من كان طلبه الحديث والفقه غية ومحبة نفسانية، فالعبادة في حقه أفضل، بل ما بينهما أفعل تفضيل». «سير أعلام النبلاء» (٧/ ١٦٧). وهؤلاء العلماء الأجلاء الذين فضلوا العلم على النافلة قد عمروا أوقاتهم بالصلوات النوافل، وصوم الهواجر، فجمعوا الأمرين، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام: ٩٠].

(٢) «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ١٢٢).




وسئل الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: أي شيء أحب إليك: أجلس بالليل أنسخ، أو أصلي تطوعًا؟ قال: «إذا كنت تنسخ، فأنت تعلِّم به أمر دينك؛ فهو أحب إلي»(١).

وقال أيضًا: «العلم لا يعدله شيء»(٢).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «والحاصل: أنهم متفقون على أنَّ الاشتغال بالعلم أفضل من الاشتغال بنوافل الصوم والصلاة والتسبيح ونحو ذلك من نوافل عبادات البدن».

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «طلب العلم من أفضل الحسنات، وأجلِّ الطاعات»(٣).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «حبُّ العلم وطلبه أصل كل طاعة»(٤).

ومن دلائله سوى ما سبق: أن نفع العلم يعم صاحبه والمسلمين والنوافل المذكورة مختصة به ولأن العلم مُصحِّح فغيره من العبادات مفتقر إليه، ولا ينعكس، ولأن العلماء ورثة الأنبياء ولا يوصف المتعبدون بذلك، ولأن العابد تابع للعالم مقتد به مقلد له في عبادته وغيرها واجب عليه طاعته ولا ينعكس، ولأن العلم تبقى فائدته وأثره بعد صاحبه والنوافل تنقطع بموت صاحبها»(٥).



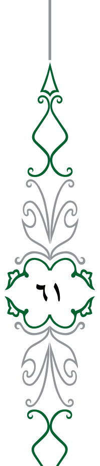
---

(١) «الفقيه والمتفقه» (١/ ١٠٣).
(٢) «مسائل ابن هانئ» (٢/ ١٦٨).
(٣) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٢١٣).
(٤) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٣٦٦).
(٥) «المجموع» (١/ ٢١).

وقوله ﷺ: «**إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**»، فيه حثٌّ عظيم على الأخذ بميراث الأنبياء وهو العلم، وأن من سلك هذا الطريق كان ممن ورثوا عن الأنبياء الخير والمعرفة.

وهذا من أعظم المناقب لأهل العلم - كما أشار إليه ابن القيم رحمه الله - فإن الأنبياء خير خلق الله، فورثتهم هم خير الخلق، ولأن المقصود بالميراث انتقال ما يملكه المورِّث إلى ورثته، ولما لم يكن للرسل والأنبياء ميراث، وإنما ميراثهم العلم كان العلماء الذي يقومون مقامهم في أممهم هم ورثتهم في تبليغ دينهم.

وفي ذلك تذكير بعظيم حق العلماء على الأمة وأمر للأمة بطاعتهم واحترامهم وتعزيزهم وتوقيرهم وإجلالهم، فإنهم ورثة الأنبياء الذين عُلم حقهم ومقامهم، وأن محبتهم من الدين وبغضهم ومعاداتهم ومحاربتهم بالقول أو الفعل مناف للدين كما هو ثابت لموروثهم. «وكل أمة قبل مبعث نبينا محمد ﷺ فعلماؤها شرارها إلا المسلمين فإن علماءهم خيارهم؛ فإنهم خلفاء الرسول ﷺ في أمته، والمحيون لما مات من سنته. بهم قام الكتاب، وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا»[1].





(١) «رفع الملام عن الأئمة الأعلام» (ص٨).

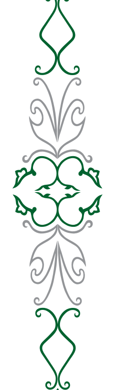
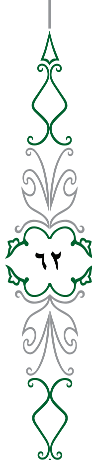
ولذا جاء عن علي رضي الله عنه: «محبَّة العَالِم دِينٌ يُدان بها»(١).

والله سبحانه عليم يحب كلَّ عليم، وهو سبحانه يضع علمه عند من يُحبه، فمن أحب العلم وأهله فقد أحب ما أحبَّ الله، وذلك مما يدان به.

وقوله ﷺ: «**وَإِنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ حَتَّى الحِيتَانُ فِي المَاءِ**»، وفي الحديث الآخر: «**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرَ**».

تأمل يا طالب العلم: الله جلَّ في علاه، وملائكته المسبحة بقدسه عليهم السلام الذين ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التّحْريم: ٦]، وأهل السموات السبع، وأهل الأرضين السبع، والحيوانات والحشرات حتى النملة وهي في جحرها، ومخلوقات البحر من أسماك وغيرها؛ كلهم يستغفرون للعالم، ويدعون له. ما أعظم هذا الفضل!

وفي تخصيص الحيتان والنمل معنى لطيف - أشار إليها

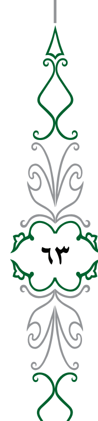



(١) أخرجه مطولاً الخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (١/ ١٨٢)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٩٨٤)، وقال: «وهو حديث مشهور عند أهل العلم يستغني عن الإسناد لشهرته عندهم». **وينظر**: «جواب الاعتراضات المصرية على الفتيا الحموية» لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص٣١).

بعض العلماء - وهو أن صلاح العالَم منوط بالعالِم، والعلماء ورثة الأنبياء، ومما ورثوه منهم تعليم الناس الإحسان، وكيفيته، والأمر به، فبالعلْم يعلم أن الطير لا يؤذى ولا يقتل إلا لأكله، ولا يذبح ما لا يؤكل لحمه، ولا يعذب طير ولا غيره بجوع ولا بظمأ، ولا يجلس في حرٍّ ولا برد لا يطيقه، وأن ترك حيتان البحر في الماء إذا لم تكن إليها حاجة واجب، وأنه لا يجوز التَّلهي بإخراجها من الماء والنَّظر إلى اضطرابها عند موتها في البَرِّ بغير قصد أكلها، وإذا صيدت للأكل يجب الصبر عليها لتموت، ولا يجوز فتح بطنها بعصا أو حجر، إلى غير ذلك، فألْهم اللَّهُ ﷻ هذه المخلوقات الاستغفار للعلماء مكافأةً لهم على ذلك[1].

وعن صفوان بن عسال رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو متكئ في المسجد على برد له فقلت له: يا رسول الله، إني جئت أطلب العلم، فقال: «**مَرْحَبًا بطالبِ الْعِلْمِ، إنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ لَتَحُفُّهُ الْمَلَائِكَةُ وَتُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا، ثُمَّ يَرْكَبُ بَعْضُهُ بَعْضًا حَتَّى يَبْلُغُوا السَّمَاءَ الدُّنْيَا مِنْ حُبِّهِمْ لِمَا يَطْلُبُ**»[2].

ومن الأحاديث الدالة على فضل العلم: ما أخرجه مسلم





(١) **ينظر**: «معالم السنن» (٤/ ٣٩)، «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٧٥)، «فيض القدير» (٤/ ٢٦٨).

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٣٤٧)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٦٢)، وصححه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٨٩)، وحسنه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٧/ ١١٧٦).

من حديث عُقْبة بن عامر ﵁ قال: خرج رسول الله ﷺ ونحن في الصُّفَّة، فقال: «**أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ، أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ، فَيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ، وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ؟**»، فقلنا: يا رسول الله نحبُّ ذلك، قال: «**أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمُ، أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ ﷻ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ**»[1].

وهذا الحديث حاثٌّ على طلب العلم الشرعي المستمد من الكتاب والسنة، وقد بوَّب عليه البيهقي ﵀ فقال: «باب من غدا وراح في تعلُّم الكتاب والسنة»[2]، ومقصود الحديث الترغيب في تعلم القرآن ومعرفة أحكامه ومعانيه، وما يستنبط منه من أحكام، وخاطبهم الرسول ﷺ على ما يعرفونه فقد

(١) أخرجه مسلم (٨٠٣). «**بطحان**» و«**العقيق**» واديان بينهما وبين المدينة قريب من ثلاثة أميال أو نحوها، وخصَّهما بالذكر لكون كل منهما أقرب المواضع التي يقام فيه أسواق الإبل إلى المدينة. وقوله: «**كوْماوَيْن**»، تثنية كَوْماء- بفتح الكاف- الناقة العظيمة السنام، وقوله: «**زَهْراوَيْن**» أي: مائلتين إلى البياض لسمنهما، تثنية: (زهراء) من الزَّهرة وهي: الحسن والبهجة.

وقد خرج هذا الحديث ابن حبان (١١٥) وقال عقبه: «هذا الخبر أضمر فيه كلمة وهي: (لو تصدق بها) يريد بقوله: فيتعلم آيتين من كتاب الله خير من ناقتين وثلاث لو تصدق بها؛ لأن فضل تعلُّم آيتين من كتاب الله أكبر من فضل ناقتين وثلاث وعدادهن من الإبل لو تصدق بها، إذ محال أن يشبه من تعلم آيتين من كتاب الله في الأجر بمن نال بعض حطام الدنيا، فصحَّ بما وصفت صحة ما ذكرت». وما ذهب إليه فيه نظر، وهو خلاف ظاهر الحديث؛ لأنه لو تصدق بهن صار من أعمال الآخرة. والله أعلم.

(٢) «الآداب» للبيهقي (ص٣٤٧)

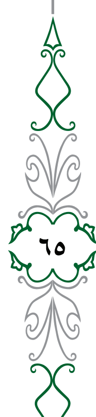



كانوا أهل إبل، ويدركون قيمتها وخاصة تلك التي وصفها رسول الله ﷺ لهم، وإلا فتعلُّم شيء من القرآن أو تعليمه، خير من الدنيا وما فيها، وقد صحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا**»[(١)].

ولو قيل لأهل هذا الزمان: من ذهب إلى مكان كذا أو كذا فسيأخذ سيارتين جديدتين فارهتين من غير إثم، وإنما هي هدية بلا مقابل، وليس هذا فحسب، بل إن أراد أكثر من ذلك أخذ! أيعقل أن يكون هناك عاقل يترك هذا؟! بل جرت عادة الناس أن يزدحموا في ذلك المكان؛ طمعًا في هذه العطية الدنيوية!

فَتعلُّم آيةٍ أو حديث خيرٌ من ذلك وأعظم، ومن تأمل واقع الناس علم كم يفرطون في هذا الفضل العظيم، ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فُصّلَت: ٣٥]. نسأل الله أن يجعلنا ممن استثنى جَلَّ وَعَلَا.

والحاصل أنه ﷺ أراد ترغيبهم في الباقيات وتزهيدهم عن الفانيات وأعظم الباقيات هو ذكر الله، وأعظمه القرآن الكريم تلاوة وحفظًا ومعرفة أحكامه[(٢)]، ولا سبيل إلى ذلك إلا بطلب العلم.




---

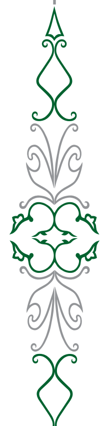
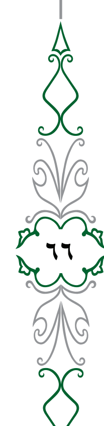
(١) أخرجه البخاري (٢٨٩٢) من حديث سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) تلاوة القرآن أفضل الذِّكر على الإطلاق، وقد يعرض للمفضول ما يجعله أولى من الفاضل، بل يتعين المفضول فيها، فلا يجوز أن يُعدل عنه إلى الفاضل، وهذا كالتسبيح في الركوع والسجود، فإنه أفضل من قراءة القرآن فيهما، بل القراءة فيهما منهي عنها، وكذلك الذكر عقيب السلام من الصلاة =

فأي كنز أعظم من هذا؟! أن يغدو المرء إلى حِلق العلم متعلمًا خير له من هذه النوق التي يعرف قدرها أهلها.

مَرَّ أبو هريرة ﷺ بسوق المدينة فوقف عليها فقال: «يا أهل السوق! ما أعجَزَكم»! قالوا: وما ذاك يا أَبا هريرة؟ قال: «ذاك ميراثُ رسول الله ﷺ يُقسَم، وأنتم هاهنا؛ ألا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه»؟ قالوا: وأين هو؟ قال: «في المسجد»، فخرجوا سراعًا، ووقف أبو هريرة لهم حتى رجعوا، فقال لهم، «ما لكم»؟ فقالوا: يا أبا هريرة! قد أتينا المسجد فدخلنا فيه، فلم نرَ فيه شيئًا يُقسم! فقال لهم أبو هريرة: «وما رأيتم في المسجد أحدًا»؟ قالوا: بلى؛ رأينا قومًا يصلون، وقومًا يقرؤون القرآن، وقومًا يتذاكرون الحلالَ والحرامَ، فقال لهم أبو هريرة: «ويحكم! فذاكَ ميراثُ محمد ﷺ»(١).

وقد عرف صحابة رسول الله ﷺ قدر هذا الترغيب العظيم في طلب العلم:

= - استغفارًا وتهليلاً وتسبيحًا وتكبيرًا وتحميدًا - أفضل من الاشتغال عنه بالقراءة، وكذلك إجابة المؤذن، وهكذا الأذكار المقيدة بمحالٍّ مخصوصة أفضل من القراءة المطلقة **ينظر**: «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٢٦٤)، (٢٣/ ٦٣)، (٢٤/ ٢٣٧)، «فتاوى اللجنة الدائمة» (٢٤/ ٢٣٤) برئاسة شيخنا ابن باز رحمه الله.

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (١٤٢٩)، وحسن إسناده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٢٣)، والألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ١٤٤).

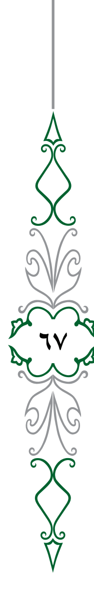
قال جندب البجلي رضي الله عنه: «كنا فتيانًا حزاورة مع نبينا ﷺ، فتعلَّمنا الإيمان قبل أن نتعلَّم القرآن، ثم تعلَّمنا القرآن فازددنا به إيمانًا، وإنكم اليوم تعلَّمون القرآن قبل الإيمان»(١).

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «لقد عشنا برهة من دهرنا، وأحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على محمد ﷺ فنتعلم حلالها وحرامها، وآمرها وزاجرها، وما ينبغي أن يقف عنده منها، كما تعلَّمون أنتم اليوم القرآن، ثم لقد رأيت اليوم رجالاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان، فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ما يدري ما آمره ولا زاجره، ولا ما ينبغي أن يقف عنده منه، فينثره نثر الدقل»(٢).

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «كان الرجل منا إذا تعلَّم عشر آيات، لم يجاوزهنَّ حتى يعرف معانيهن والعمل بهن»(٣).

قال أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله: «حدثنا من كان يقرئنا من أصحاب النبي ﷺ، أنهم كانوا يقترئون من رسول الله ﷺ عشر آيات، فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل، قالوا: فَعلِمْنا العلم والعمل»(٤).

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥٠)، وقوله: «غلمانًا حزاورة»، أي: هو الذي قارب البلوغ، والتاء لتأنيث الجمع. «لسان العرب» (٤/ ١٨٧).
(٢) أخرجه الحاكم (١٠١)، والبيهقي في «السنن» (٥٢٩٠).
(٣) «تفسير الطبري» (١/ ٧٤).
(٤) أخرجه أحمد (٢٣٤٨٢).



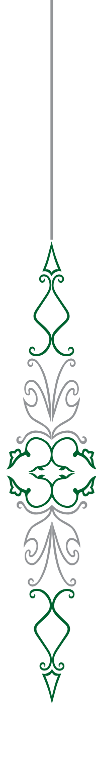
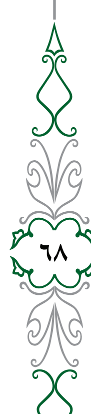
وكل ما سبق يدلَّ أن المقصود بتعلم القرآن تعلم تلاوته، وحفظه، وتدبر معانيه، وتعلم أحكامه وما فيه من حلال وحرام، وكانوا يتبعون هذا العلم بالعمل، «فإن العلم شجرة والعمل ثمرة، وليس يُعدُّ عالمًا من لم يكن بعلمه عاملاً»[1].

ومن الأحاديث الدالة على فضل العلم: ما أخرجه البخاري من حديث عثمان رضي الله عن النبي ﷺ قال: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**»[2].

فخير المتعلِّمين والمعلِّمين من كان تعلُّمه وتعليمه في القرآن لا في غيره؛ فإن خير الكلام كلام الله، وكذا فإن خير الناس بعد الأنبياء من اشتغل بتعليم الناس كلام الله ﷻ، وفي الحديث إشارة إلى خيرية تبليغ العلم وأنه من النفع المتعدي للغير بخلاف من اكتفى برفع الجهل عن نفسه.

وفي الحديث دلالة على أن قراءة القرآن وتعلم أحكامه - كما مرَّ في الحديث السابق - أفضل أعمال البر كلها.

قال ابن القيم رحمه الله: «وتعلم القرآن وتعليمه يتناول تعلم حروفه، وتعليمها، وتعلُّم معانيه، وتعليمها، وهو أشرف قسمي علمه وتعليمه، فإنَّ المعنى هو المقصود، واللفظ وسيلة، إليه، فتعلم المعنى وتعليمه تعلم الغاية وتعليمها، وتعلُّم اللفظ المجرد وتعليمه تعلُّم الوسائل وتعليمها، وبينهما كما بين الغايات».

---

(١) من كلام الخطيب البغدادي رحمه الله في: «اقتضاء العلم العمل» (ص١٤)
(٢) البخاري (٥٠٢٧).

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «يحتمل أن يكون المراد بالخيرية من جهة حصول التعليم بعد العلم، والذي يعلِّم غيره يحصل له النفع المتعدي، بخلاف من يعمل فقط، بل مِن أشرف العمل تعليم الغير فمعلِّم غيره يستلزم أن يكون تعلُّمه وتعليمه لغيره عمل وتحصيل نفع متعدٍّ،...

فإن قيل: فيلزم على هذا أن يكون المقرئ أفضل من الفقيه .**قلنا**: لا، لأن المُخاطَبين بذلك كانوا فقهاء النفوس؛ لأنهم كانوا أهل اللسان، فكانوا يدرون معاني القرآن بالسليقة أكثر مما يدريها مَن بعدهم بالاكتساب، فكان الفِقه لهم سَجية. فمن كان في مثل شأنهم شاركهم في ذلك، لا من كان قارئًا أو مقرئًا محضًا لا يفهم شيئًا من معاني ما يقرؤه أو يُقرئه.

فإن قيل: فَيلزم أن يكون المقرئ أفضل ممن هو أعظم غناء في الإسلام بالمجاهدة والرباط والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثلاً، **قلنا**: حَرف المسألة يدور على النفع المتعدي فمن كان حصوله عنده أكثر كان أفضل»[1].

وسبق أن ذكرنا أن المقصود ليس فقط حفظ اللفظ - مع عظيم فضله وخيريَّته - فإنَّ القرآن محفوظ بوعد الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحِجر: ٩]، وإنما المقصود

(١) «فتح الباري» (٩/ ٧٥).





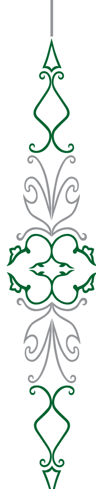
حفظ حروفه وإقامة حدوده ومعرفة معانيه، ولذا قال أبو عبدالرحمن السلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنما أخذنا القرآن عن قوم أخبرونا أنهم كانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يجاوزوهن إلى العشر الأُخر حتى يعلموا ما فيهن من العمل»، قال: «فتعلمنا العلم والعمل جميعًا، وأنه سيرث القرآن بعدنا قوم يشربونه شرب الماء لا يجاوز هذا» وأشار بيده إلى حنكه[1].

قال مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بلغنا أن عبد الله بن عمر مكث على سورة البقرة ثمان سنين يتعلمها»[2].

قال الزرقاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ليس ذلك لبطء، معاذ الله، بل لأنه كان يتعلم فرائضها وأحكامها وما يتعلق بها، ولعل ابن عمر خلط مع ذلك من العلم أبوابًا غيرها»[3].

وقد جاء في وصف الرسول ﷺ للخوارج أنهم: «**يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ رَطْبًا، لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُم**»[4].

وكذلك تلاوته مع شرفها وعظيم أجرها، فإن المقصود الأعظم: التلاوة الحقيقية، وهي تلاوة المعنى واتِّباعه، والتصديق بأخباره، والعمل بأوامره، واجتناب نواهيه، فتلاوة المعنى أشرف مطلوب لقارئ القرآن. فلا بدَّ من العلم





---

(١) «فضائل القرآن» للفريابي (ص١٦٩).

(٢) الموطأ (٥٤٦).

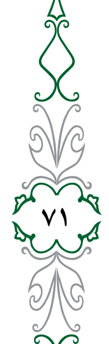
(٣) «شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك» (٢/ ٢٢).

(٤) أخرجه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

والعمل، أما من تعلَّم ولم يعمل بما فيه، أو علَّمه وهو لا يعمل بما فيه فلا يصدق عليه أنه من خير الناس؛ لأنه لم يعمل بكتاب الله، وقد قامت عليه الحجة بعمله، بل هو من شرِّ الناس، وفيه شبه من حال المغضوب عليهم الذين يعلمون ولا يعملون، فكيف إذا ترك كتاب الله وراءه ظهريًا، واتبع هواه اعتقادًا وعملاً؟!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولهذا دخل في معنى قوله: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**» تعليم حروفه ومعانيه جميعًا، بل تعلم معانيه هو المقصود الأول بتعليم حروفه، وذلك هو الذي يزيد الإيمان»[(١)].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والناس إنما يغلطون في هذه المسائل؛ لأنهم يفهمون مسميات الأسماء الواردة في الكتاب والسنة ولا يعرفون حقائق الأمور الموجودة، فرب رجل يحفظ حروف العلم التي أعظمها حفظ حروف القرآن ولا يكون له من الفهم؛ بل ولا من الإيمان ما يتميز به على من أوتي القرآن ولم يؤت حفظ حروف العلم كما قال النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه « **مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الْأُتْرُجَّةِ: رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ التَّمْرَةِ: لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ**





(١) «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٤٠٢)، **وينظر**: «الإيمان» لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص١٣٥)، «مفتاح دار السعادة» (١/ ١١٥).

الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ: رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ: لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ»(١). فقد يكون الرجل حافظًا لحروف القرآن وسوره ولا يكون مؤمنًا بل يكون منافقًا، فالمؤمن الذي لا يحفظ حروفه وسوره خير منه، وإن كان ذلك المنافق ينتفع به الغير كما يُنتفع بالريحان. وأما الذي أوتي العلم والإيمان فهو مؤمن عليم فهو أفضل من المؤمن الذي ليس مثله في العلم مثل اشتراكهما في الإيمان؛ فهذا أصل تجب معرفته»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٠٦)، ومسلم (٧٩٧) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٢) «مجموع الفتاوى» (١١/ ٣٩٨). وللذهبي رحمه الله لفتة عظيمة في كلامه عن أصناف مَن يطلب العلم، حيث قال: «**كان السلف يطلبون العلم لله، فَنَبُلُوا**، وصاروا أئمة يقتدى بهم، **وطلبه قوم منهم** أولاً لا لله، وحصَّلوه، ثم استفاقوا، وحاسبوا أنفسهم، فجرَّهم العلم إلى الإخلاص في أثناء الطريق، كما قال مجاهد، وغيره: «طلبنا هذا العلم، وما لنا فيه كبير نية، ثم رزق الله النية بعدُ»، وبعضهم يقول: «طلبنا هذا العلم لغير الله، فأبى أن يكون إلا لله»، فهذا أيضًا حسن، ثم نشروه بنية صالحة .**وقوم** طلبوه بنية فاسدة لأجل الدنيا وليُثْني عليهم، فلهم ما نووا؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ غَزَا يَنْوِيْ عِقَالاً فَلَهُ مَا نَوَى**» [أخرجه بنحوه أحمد (٢٢٦٩٢) والنسائي (٣١٣٨)]، وترى هذا الضرب لم يستضيئوا بنور العلم، ولا لهم وقع في النفوس، ولا لعلمهم كبير نتيجة من العمل، وإنَّما العالم من يخشى الله تعالى .**وقوم** نالوا العلم، وَوُلُّوا به المناصب، فظلموا، وتركوا التقيد بالعلم، وركبوا الكبائر والفواحش، فتبًا لهم، فما هؤلاء بعلماء! **وبعضهم** لم يتَّقِ الله في علمه، بل ركب الحِيل، وأفتى بالرُّخص، وروى الشَّاذ من الأخبار .**وبعضهم** اجترأ على الله، ووضع الأحاديث، فهتكه الله، وذهب علمه، وصار زادَه إلى النار. وهؤلاء الأقسام كلهم رووا من العلم شيئًا كبيرًا، وتضلَّعوا منه في الجملة، **فخلف من بعدهم** خلف بان نقصهم =




جعلنا الله ممن يرعا كتابه الكريم حقَّ رعايته، ويتدبره حقَّ تدبره، ويقوم بقسطه، ويفي بشرطه، ولا يلتمس الهدى في غيره، وهدانا لأعلامه الظاهرة، وأحكامه القاطعة الباهرة، وجمع لنا به خير الدنيا والآخرة.

ومن الأحاديث الدالة على فضل العلم وشرفه: ما أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**»(١).

فهذا الحديث الشريف من أعظم الأدلة على شرف العلم وفضله وعظيم ثمرته، فقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة أمور تبقى من أعمال المرء بعد وفاته: صدقة جارية، وولد صالح يدعو له، وعلم ينتفع به، وخير هذه الثلاث هو العلم الذي ينتفع به؛ لأن الصدقة الجارية قد تنقطع بخراب أو إهمال، والولد الصالح يموت، أما العلم فيستمر نفعه لصاحبه ما بقي عِلمه وآثاره سواء في طلابه أو في مؤلفاته. وقد قال بعض

= في العلم والعمل. **وتلاهم قوم** انتموا إلى العلم في الظاهر، ولم يتقنوا منه سوى نزرٍ يسير، أوهموا به أنهم علماء فضلاء، ولم يدرْ في أذهانهم قطُّ أنهم يتقربون به إلى الله؛ لأنهم ما رأوا شيخًا يقتدى به في العلم، فصاروا همجًا رَعاعًا، غاية المُدرِّس منهم أن يحصِّل كُتبًا مُثمَّنة يُخزِّنُها وينظر فيها يومًا ما، فيصحِّف ما يورده، ولا يقرِّره. فنسأل الله النجاة والعفو». «سير أعلام النبلاء» (٧/ ١٥٢). نسأل الله العفو والعافية، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم.

(١) أخرجه مسلم (١٦٣١).

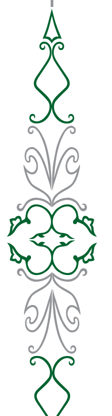


الحكماء: «علمُ الرجل ولَدُه المخلَّد» وقد صدق في مقولته، فثواب تعليمه يصل له في قبره ما دام هذا العلم يُنتفع به، فكأنه حيٌّ لم ينقطع عن عمله.

وتأمل حال الأئمة الأعلام من صدر الإسلام إلى يومنا هذا: لم تزل أسماؤهم تدور على الألسن ذكرًا وثناء وترحُّمًا، فأيُّ فضل أعظم من هذا الفضل، فهذا - والله - الفضل العظيم.

النَّاسُ: جارٍ في الحَيَاةِ لِغَايَةٍ
وَمضَلَّلٌ يَجْرِيْ بِغَيْرِ عِنَانِ
والخُلْدُ في الدنيا - وليس بهيِّنٍ -
عُليا المرَاتبِ لم تُتَحْ لِجَبَانِ
فَارْفَعْ لِنَفْسِكَ بَعْدَ مَوْتِكَ ذِكْرَهَا
فَالذِّكْرُ لِلإنْسَانِ عُمْرٌ ثَانِي[1]

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فيالها من مرتبة ما أعلاها، ومنقبة ما أجلها وأسناها، أن يكون المرءُ في حياته مشغولاً ببعض أشغاله، أو في قبره قد صار أشلاء متمزقة وأوصالاً متفرقة، وصحفُ حسناته متزايدة، يملى فيها الحسنات كل وقت، وأعمال الخير مُهداة إليه من حيثُ لا يحتسب، تلك - والله




(١) «ديوان أحمد شوقي» (٣/ ١٦٨). والناس: مبتدأ، وخبره محذوف تقديره: صنفان، فصنف جار في الحياة لغاية يسعى لتحقيقها، وصنف آخر لا غاية له ولا هاد، شأنه شأن الدابة التي تجري ليس لها من يمسك بِعنانها ليوجهها ويضبط سيرها.

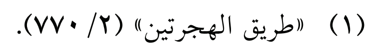
- المكارم والغنائم! وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، وعليه يحسد الحاسدون، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

وحقيق بمرتبة هذا شأنها: أن تنفق نفائس الأنفاس عليها، ويستبق السابقون إليها، وتوفر عليها الأوقات، وتتوجه نحوها الطلبات. فنسأل الله الذى بيده مفاتيح كل خير أن يفتح علينا خزائن رحمته، ويجعلنا من أهل هذه الصِّفة بمنِّه وكرمه»[1].

فَفُـز بِـعِـلْـمٍ تَـعِـشْ حَـيَّـاً بِـهِ أَبَـدَاً
الـنَّـاسُ مَـوْتَـى وَأَهْـلُ الـعِـلْـمِ أَحْـيَـاءُ







(١) «طريق الهجرتين» (٢/ ٧٧٠).

الفصل الثاني
قواعد تحصيل العلم وضبطه

١ - التلقي عن العلماء والأشياخ.

٢ - التدرج في طلب العلم.

٣ - ضبط أصل مختصر في كل علم.

٤ - الحفظ والمذاكرة والتقييد.

٥ - الصبر على طلب العلم.





قواعد تحصيل العلم وضبطه

إذا تبين لك هذا الفضل العظيم في العلم بعثك ذلك إلى الهمَّة في طلبه، والاستزادة منه، ولكن طلبه له قواعد لا بد من مراعاتها، وضابط يستعين بها الطالب - بعد الله ﷻ - ولا يحيد عنه ليتخرج بها، وإلا فربما بعض الطَّلبة: «يَشب ويشيب وهو يقرأ ولم يحصِّل شيئًا»[1]!

وسبب ذلك لا يخرج عن أمرين أشار إليهما ابن بدران رحمه الله في المدخل:

الأول: عدم الذكاء الفطري.

والثاني: الجهل بطرق التعليم[2].

فأما الأمر الأول فلا حيلة لإرشاد صاحبه، فليس هو من أهل النبوغ في العلم، وأما الثاني فهو الذي يحتاج إلى تبصير وإنارة طريق؛ ليدرك حاجته، ويبلغ نُهمته في العلم.

وعليه: فإن طَلب العلم له قواعد وضوابط عند أهل العلم، أنتخب منها ما يلي:

الأول: التلقي عن العلماء والأشياخ.




(١) قاله الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله. «الدرر السنية» (٤/ ٣٤٧).

(٢) «المدخل» (ص٤٨٥).

الثاني: التدرج في طلب العلم.

الثالث: ضبط أصل مختصر في كل علم.

الرابع: الحفظ والمذاكرة والتقييد.

الخامس: الصبر على طلب العلم.







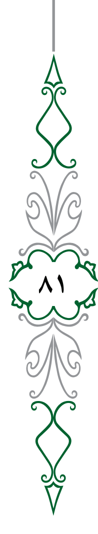
التلقي عن العلماء والأشياخ[1]

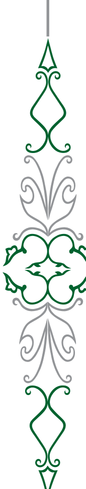
فأما تلقي العلم عن العلماء والأشياخ: فهو سنة متبعة في العلم الشرعي، فلا بدَّ من ثَني الرُّكب عند العلماء والاستفادة منهم: العلم والأدب[2]، فإن مجالسهم تُعلِّم هذين الأمرين.

ولذا كان من قواعد العلماء الماضين قولهم: لا تأخذ العلم من صُحُفي ولا القرآن من مُصْحَفي[3].

وقولهم: من تفقه من بطون الكتب ضيَّع الأحكام.

قال ابن أبي زيد القيرواني في مقدمة كتابه: «النوادر والزيادات»: «كان يقال: لا يؤخذ العلم من كُتبي، ولا القرآن من مُصحفي. وإن كانت الكتب في آخر الزمان خزائن العلوم؛





(١) الأشياخ أحد الألفاظ التي يجمع عليها لفظ: «شيخ»، وقد جمعها بعضهم في قوله:

إذا رمتَ جمعَ الشَّيخ وهو مجرَّدٌ
يصير رمادا عند ما ضمه الجمعُ
شيوخٌ وأشياخٌ وشيخانُ شيخةٌ
مشايخُ مَشْيوخاءُ مَشْيخةٌ سبعُ

(٢) قال ابن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كانوا يتعلمون الهدي كما يتعلمون العلم». «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١/ ٧٩).

(٣) ينظر: «الجرح والتعديل» (٢/ ٣١)، (٣/ ٤٠٢)، «تاريخ دمشق» (٢٢/ ٣٨٧)، «تصحيفات المحدثين»، (١/ ٦)، «فتح المغيث» (٣/ ١٦٥).

فإن مفاتيح مغالقها الصدور»[1].

وقال الأوزاعي رحمه الله: «كان هذا العلم كريمًا، يتلاقَّاه الرجال بينهم، فلمَّا دخل في الكتب، دخل فيه غير أهله»[2].

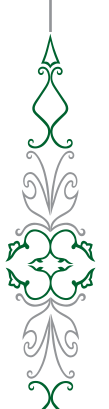
وعلى عادته، فقد ذكر الشاطبي رحمه الله تأصيلاً جميلاً لهذه المسألة، فذكر أنَّ أنفع طرق العلم الموصلة إليه أخذه عن أهله المتحققين به على الكمال والتمام، وسرُّ ذلك:

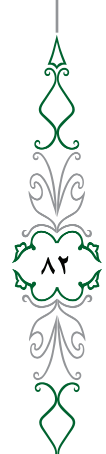
أن الله خلق الإنسان لا يعلم شيئًا، ثم رزقه العلم والتبصر والهداية التي بها يعرف مصالحه.

وله في ذلك طريقان: طريق غريزي، وآخر اكتسابي.

والاكتسابي إما أن يتلقاه عن طريق العلماء، أو عن غيرهم.

ثم قال: «وإن كان الناس قد اختلفوا: هل يمكن حصول العلم دون معلم أم لا؟ فالإمكان مُسلَّم، ولكن الواقع في مجاري العادات أن لا بُدَّ من المعلم، وهو متفق عليه في الجملة،... وجريان العادة به كاف في أنه لا بدَّ منه، وقد قالوا: «إن العلم كان في صدور الرجال، ثم انتقل إلى





(١) (١/ ٩). ومصحفي نسبة للمصحف، وميم المصحف مثلثة. ينظر: «إكمال الإعلام بتثليث الكلام» (١/ ١٥).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٧/ ١١٤).

الكتب، وصارت مفاتحه بأيدي الرجال»، وهذا الكلام يقضي بأن لا بد في تحصيله من الرجال؛ إذ ليس وراء هاتين المرتبتين مرمى عندهم، وأصل هذا في الصحيح: «**إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُه مِنْ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُهُ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ...**» الحديث، فإذا كان كذلك؛ فالرجال هم مفاتحه بلا شك»[(١)].

ولا تجد طالب علم تتلمذ على كتاب وترك نهج الأسلاف في الأخذ عن العلماء والجلوس إليهم إلا وجدت عنده قصورًا في تصور المسائل، وفهم أدلتها، وتشتتًا في فهم النوازل، وأنت واجد عنده - في العادة - رعونة وطبع جافٍّ، فإن العلم والأدب قرينان[(٢)]. كما أن العالم موجِّه ومعلم ومستشار، ولا يجد الطالب هذه في الكتب[(٣)].

يَظُنُّ الْغَمْرُ أَنَّ الْكُتْبَ تَهْدِي

أَخَا فَهْمٍ لإدراكِ الْعُلُومِ

(١) «الموافقات» (١/ ١٣٩)، والحديث أخرجه البخاري (١٠٠) ومسلم (٢٦٧٣).

(٢) وصف أبو حيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعض العلماء الذين أخذوا العلم عن الكتب بقوله: «كان لا يحتمل المباحثة، ولا يثبت للمنافثة، لأنه إنما أخذ العلم بالنظر فيه بخاصة نفسه». «الوسيط في تراجم أدباء شنقيط» (ص٣٥).

(٣) قال عبد الله بن وهب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان أول أمري في العبادة قبل طلب العلم، فولع بي الشيطان في ذكر عيسى ابن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كيف خلقه الله تعالى ونحو هذا، فشكوت ذلك إلى شيخ، فقال لي: ابن وهب. قلت: نعم. قال: اطلب العلم. فكان سبب طلبي العلم». «سير أعلام النبلاء» (٩/ ٢٢٤).




وَمَـا يَـدْرِي الْـجَـهُـولُ بـأنَّ فِـيْـهـا
غـوامـضَ حَـيَّـرَتْ عَـقْـل الْـفَـهِـيْـمِ
إذَا رُمْـتَ الْـعُـلْـومَ بِـغَـيْـرِ شَـيْـخٍ
ضَـلَـلْـتَ عَـنِ الْـصِّـراطِ الْـمُـسْـتَقِـيْـمِ
وَتَـلْـتَـبِـسُ الأمـورُ عَـلَـيْـكَ حَـتَّـى
تَـكـونَ أَضَّـلَ مِـنْ تُـوْمَـا الْـحَـكِـيْـمِ[١]

قال شيخنا ابن عثيمين ﷺ: «أخذ العلم من بطون الكتب لا بدَّ للإنسان أن يصل فيه إلى غاية ما. لكن هناك عقبتان:

العقبة الأولى: الطول، فإن الإنسان يحتاج إلى وقت طويل، ومعاناة شديدة، وجهد جهيد حتى يصل إلى ما يرومه من العلم. وهذه عقبة قد لا يقوى عليها كثير من الناس،

---

(١) نسب ابن مفلح ﷺ هذه الأبيات لأبي حيان الأندلسي ﷺ. ويقال: كان (توما) طبيبًا، ولكن كان تطبّبه مِن الكتب! وقد وقع التصحيف في بعض كتبه فكان يقرأ: (**الحية** السوداء شفاء مِن كلّ داء)، تصحّفت كلمة (**حبّة**) إلى (**حيّة**)! ومات بسبب تُطبّبه خَلق كثير. قال ابن حجر ﷺ: «توما بن إبراهيم الطبيب الشوبكي، علم الدين، كان عارفًا بالطبِّ، وله اختصار مسائل حنين، وكان من أطباء السلطان، وكأنه الذي عناه من قال: (قال حمار الحكيم توما)، مات في رجب سنة ٧٢٤ وقد جاوز السبعين». «الدرر الكامنة» (٢/ ٧٥). والذي أشار إليه ابن حجر ﷺ هو قول بعضهم:

قَـالَ حِـمَـارُ الْـحَـكِـيْـمِ تُـوْمَـا
لَـوْ أَنْـصَـفُـوْنِـيْ لَـكُـنْـتَ أَرْكَـب
لِأَنَّـنِـيْ جَـاهِـلٌ بَـسِـيْـطٌ
وَصَـاحِـبِـيْ جَـاهِـلٌ مُـرَكَّـب




لاسيما وهو يرى من حوله قد أضاعوا أوقاتهم بلا فائدة، فيأخذه الكسل فيكل ويمل ثم لا يدرك ما يريد.

العقبة الثانية: أنَّ الذي يأخذ العلم من بطون الكتب علمه ضعيف غالباً، لا ينبني على قواعد أو أصول، ولذلك نجد الخطأ الكثير من الذي يأخذ العلم من بطون الكتب؛ لأنه ليس له قواعد وأصول يقَعِّد عليها، ويبني عليها الجزئيات التي في الكتاب والسنة»[1].

إذا تبين لك ذلك: فإنه ليس كل من تصدَّر كان من أهل العلم الذين يؤخذ عنهم، فإن هذا العلم دين، فانظر عمَّن تأخذ دينك.

فعليك بمن أفاء الله عليه بالعلم، وزكَّاه بالعمل، وتسربل بالتقوى، وتجمَّل بالخشية، وحشا فؤاده اليقين والخوف، فإن أولئك الكرام هم مِنَّة الله على خلقه بعد رسله: «الذين فهموا مقصود الأمر ومراد الشارع، فهم حفظة الشريعة، فأحسن الله جزاءهم»[2]. وعليك بوصية الإمام مالك رحمه الله بمعرفة حقِّهم، وبرِّهم، وتقديرهم، وزيارتهم[3].

ولا تلتفت إلى من يتصدرون وهم فارغون من العلم والعمل والخشية: «انتموا إلى العلم في الظاهر، ولم يُتقِنوا




---

(١) «كتاب العلم» (ص٦٨).

(٢) «صيد الخاطر». (٢٦٥).

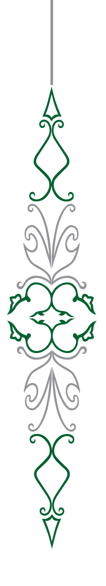
(٣) قال رحمه الله: «عليكم بمعرفة حقِّ أهل العلم والتماس برِّهم، وواجبٌ عليكم ألَّا تمروا بقرية يَبلُغكم أنَّ بها عالمًا واحدًا إلا أتيتموه تُسلِّمون عليه». «الجامع لمسائل المدونة» (٢٤/ ٩٨).

منه سوى نزرٍ يسير، أَوْهمُوا به أنهم علماء فضلاء»[١]، فإنَّ أولئك هم الرويبضة الذين وصفهم الرسول ﷺ بقوله: «**الرَّجُلُ التَّافِهُ فِي أَمْرِ الْعَامَّة**»[٢]، وفي لفظ: «**السَّفِيْهُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّة**»[٣]، وفي لفظ: «**الْفُوَيْسِقُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّة**»[٤]، **فإياك والأخذ عنهم.**



ومثلهم من عُرف بخطابة أو قراءة أو وعظ، فهؤلاء وإن أحسنوا فيما عرفوا به، فإنهم ليسوا من أهل العلم ابتداء الذين يؤخذ عنهم العلم، وليكن قول ابن مسعود رضي الله عنه منك على التذكار دائمًا: «إنكم في زمان: كثير فقهاؤه قليل خطباؤه، وسيأتي من بعدكم زمان: قليل فقهاؤه كثير خطباؤه»[٥].

ومن فضل الله علينا في هذه الأزمان أنَّ علماءنا الكبار الأحياء منهم والأموات قد بَقيت علومهم بأصواتهم شاهدة على علم وخشية، ويسَّر الله تحميلها وحملها في كل مكان، فإن غابت الشخوص وصعب حضور المجالس فلا أقلَّ من سماعها لإدراك العلم من أهله، وإن كان سيفوته خير عظيم وهو تعلم السَّمت والهدي، وتطبيق العلم ظاهرًا، وهذا لا يكون إلا بملازمتهم والجلوس إليهم في حِلقهم.



(١) من كلام الذهبي رحمه الله في «سير أعلام النبلاء» (٧/ ١٥٣)، وهو في سياق كلام نفيس يحسن الرجوع إليه.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٠٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد (٧٩١٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه أحمد (١٣٢٩٨) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٥) «الأدب المفرد» (٧٨٩).

والعالم الحق يعرف بسمته وخشيته وتعظيمه للعلم الذي يحمله، فيكون متبعًا للدليل مقدمًا له على غيره.

وقد كانت مجالس أهل العلم الكبار تعلم هذين الأمرين المهمين: العلم والأدب وحسن السمت، فهذا مجلس الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ يجتمع فيه قرابة خمسة آلاف إنسان، خمسمائة يكتبون الحديث فكانوا يأخذون عنه العلم رواية، والباقون يتعلَّمون منه حسن الأدب والسمت[1].

(١) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٣١٦). وليس المقصود بالسمت المظهر فقط، بل هو فوق ذلك وهو انعكاس الباطن على الظاهر، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «ثم إن الصراط المستقيم هو أمور باطنة في القلب: من اعتقادات، وإرادات، وغير ذلك، وأمور ظاهرة: من أقوال، أو أفعال قد تكون عبادات، وقد تكون أيضًا عادات في الطعام واللباس، والنكاح، والمسكن، والاجتماع والافتراق، والسفر والإقامة، والركوب وغير ذلك. وهذه الأمور الباطنة والظاهرة بينهما ارتباط ومناسبة، فإن ما يقوم بالقلب من الشعور والحال يوجب أمورًا ظاهرة، وما يقوم بالظاهر من سائر الأعمال، يوجب للقلب شعورًا وأحوالاً». «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٩٢). وإياك ثم إياك الاغترارَ بظاهر السَّمت قبل أن تبلو صاحبه، ودونك قول الإمام الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ: «فلا ينبغي لمن رأى اجتهاد خارجي قد خرج على إمام عدلاً كان الإمام أو جائرًا، فخرج وجَمع جماعةً وسلَّ سيفه، واستحلَّ قتال المسلمين، فلا ينبغي له أن يغترَّ بقراءته للقرآن، ولا بطول قيامه في الصلاة، ولا بدوام صيامه، ولا بحسن ألفاظه في العلم؛ إذا كان مذهبه مذهب الخوارج». «الشريعة» (١/ ٣٤٥). **ومن طَريف ما نُقل عن السَّمت الظاهر الخادع**: ما جاء في ترجمة أبي بكر بن عياش رَحِمَهُ اللَّهُ في «الوافي بالوفيات» (١٠/ ١٥٣) قال: «كنت أنا وسفيان الثوري وشريك نتماشى بين الحيرة والكوفة فرأينا شيخًا أبيض الرأس واللحية، حسن السَّمت والهيئة، فظننا أن عنده شيئًا من الحديث وأنه قد أدرك الناس، وكان سفيان أطلبنا للحديث فتقدم إليه وقال له: يا هذا هل عندك شيء من الحديث؟ فقال أما حديثٌ فلا. ولكن عندي عَتِيْقٌ سَنتين! فنظرنا فإذا هو خَمَّار!» والعتيق: هو الخمر القديم.





وهذا ما لا يجده مَن يطلب العلم في الوسائل الحديثة، وإن كان لن يُحرم فضل العلم وتعلمه.

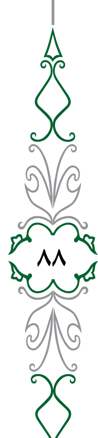
قال سعيد بن عامر رحمه الله: كنا عند هشام الدستوائي، فضحك رجل منا، فقال له هشام الدستوائي: «تضحك وأنت تطلب الحديث؟!»(١).

وقال عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله: ضحك رجل عند هشام الدستوائي، فقال له هشام: «يا فتى تطلب العلم وتضحك؟!» قال: فقال: أليس الله أضحك وأبكى؟ فقال هشام: «فابك إذن!»(٢).

وقال إسماعيل بن يحيى رحمه الله: رآني سفيان وأنا أمازح رجلاً من بني شيبة عند البيت، فتبسَّمت فالتفت إليَّ فقال: «تبتسم في هذا الموضع! إن كان الرجل ليسمع الحديث الواحد فنرى عليه ثلاثة أيام سمته وهديه»(٣).

قال الخطيب البغدادي رحمه الله مُعَلِّقًا: «يجب على طالب الحديث أن يتجنب اللعب والعبث والتبذل في المجالس بالسخف، والضحك والقهقهة وكثرة التَّنادر، وإدمان المزاح والإكثار منه، فإنما يستجاز من المزاح يسيره ونادره وطريفه الذي لا يخرج عن حدِّ الأدب وطريقة العلم، فأمَّا مُتصله





(١) «الجامع لأخلاق الراوي» (١/ ١٥٧).
(٢) «الجامع لأخلاق الراوي» (١/ ١٥٧).
(٣) «الجامع لأخلاق الراوي» (١/ ١٥٧).

وفاحشه وسخيفه وما أوغر منه الصدور وجلب الشر؛ فإنه مذموم»[1].

وقد قال قبله الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حق على من طلب العلم أن يكون له وقار، وسكينة، وخشية»[2].

وفرق كبير بين السمت الحسن المطلوب والتماوت المذموم، فلا يختلطان على نجيب بإذن الله، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝١٨ وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٨-١٩] تحذير من مَسلكين مشينين: التكبُّرِ والتَّماوت.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله تعالى: ﴿وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ [لقمان: ١٩]، أي: امْشِ متواضعًا مستكينًا، لا مشي البَطَر والتكبر، ولا مَشْي التَّماوت»[3].

ثم إذا اكتمل تأهَّل الطالب بالأخذ عنهم استطاع أن يقرأ في مطولات العلم، فإن أشكل عليه شيء كشفه بسؤال أهل العلم المحققين ومدارستهم، كما قال الزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العلم خزائن، وتفتحها المسألة»[4].





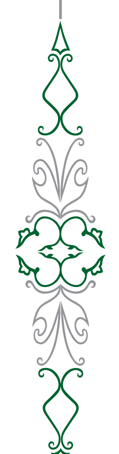
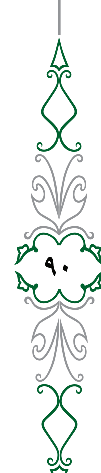
---

(١) «الجامع لأخلاق الراوي» (١/ ١٥٧).
(٢) «سير أعلام النبلاء» (٨/ ١٠٧).
(٣) «تيسير الكريم الرحمن» (ص٦٤٨).
(٤) «الآداب الشرعية والمنح المرعية» (٢/ ٢٢٤).

ومن المهم: الإشارة أن على الطالب أن يأخذ العِلم من كل عالم وفق ما فتح الله على ذلك العالم في العلم، فيأخذ عنه ما عُرف به في الجملة، فهي جادَّة التعلم، والاختصاصُ سنة معلومة، وأصلها نبويٌّ شريف، مثل قوله ﷺ: «**خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَسَالِمٍ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ**»(١)، وقوله ﷺ: «**أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي أَمْرِ اللهِ عُمَرُ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ، وَأَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالحَلَالِ وَالحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا، وَإِنَّ أَمِينَ هَذِهِ الأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ**»(٢).

قال الإمام أحمد رحمه الله في القارئ نافع المدني: «كان يؤخذ عنه القراءة، وليس في الحديث بشيء»(٣).

وفي هذا يقول الشوكاني رحمه الله: «إنَّ إنصاف الرجل لا يتم حتَّى يأخذ كل فن عن أهله... وأمَّا إذا أخذ العلم عن غير أهله، ورجَّح ما يجده من الكلام لأهل العلم في فنون ليسوا

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٩٩)، ومسلم (٢٤٦٤) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه أحمد (١٢٩٠٤)، والترمذي (٣٧٩١) وقال: «حسن صحيح»، والنسائي في «الكبرى» (٨٢٨٧)، وابن ماجه (١٥٤) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وأُعِلَّ بالإرسال، قال شيخنا ابن باز رحمه الله في حاشيته على «بلوغ المرام»: «وهي علَّة غير مؤثرة إذا كان من وصله ثقة، وهو هنا ثقة». **وينظر**: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٣/ ٢٢٣).

(٣) «الجرح والتعديل» (٨/ ٤٥٦).

من أهلها؛ فإنَّه يخبط ويخلط، ويأتي من الأقوال والترجيحات بما هو في أبعد درجات الإتقان وهو حقيق بذاك»[1].

ومصداق ذلك ما قاله الذهبي رحمه الله في ترجمة أبي الفرج بن الجوزي رحمه الله: «ومع تبحر ابن الجوزي في العلوم، وكثرة اطلاعه، وسعة دائرته، لم يكن مبرزًا في علم من العلوم، وذلك شأن كلِّ من فرَّق نفسه في بحور العلم»[2].

ومن الأخطاء التي يقع فيها بعض الطلبة وقت التحصيل: أخذ العلم الواحد عن أكثر من شيخ في وقت واحد، فتجده يحضر لشيخين في وقت واحد يشرحان كتابًا واحدًا مثل: «زاد المستقنع» أو «بلوغ المرام»، وهذا يسبب له عدم ضبط أصول المسائل من جهة الاستدلال وتفكيك العبارات، وتخالف الاختيارات، مع عدم قدرته على التمييز، خاصة إذا كان أحدهما يتوسع في التعليق والشرح.





(١) «أدب الطلب» (ص٧٦).

(٢) «تاريخ الإسلام» (٢١/ ١١١٠).

التدرج في طلب العلم

التدرج في طلب العلم من سنن السلف الصالح وسبيلهم في تحصيله، فإن العلم درجات ومناقل ورتب، لا ينبغي تعدِّيها، ومن تعدَّى سبيلهم عامدًا ضلَّ، ومن تعداه مجتهدًا زَلَّ[1]، فالتدرج في طلبه شرط في تحصيله، وأصله في كتاب الله ﷻ على ما فُسِّر به قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ﴾ [آل عِمرَان: ٧٩] قيل في تفسير «الرَّبَّاني»: الذي يُربِّي الناس بصغار العلم قبل كباره[2].

والمراد بصغار العلم: ما وضح من مسائله وبكباره ما دقَّ منها، وقيل: يعلمهم جزئياته قبل كلياته، أو فروعه قبل أصوله، أو مقدماته قبل مقاصده[3]. والمقصود من ذلك كله التدرج في أخذ العلم.

وقد عرف أسلافنا هذا فكانوا يأخذون العلوم بالتدرج، وقد أوصى الزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعض طلبته فقال: «لا تكابر العلم؛ فإن العلم أودية، فأيها أخذت فيه قطع بك قبل أن تبلغه.




(١) **ينظر**: «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١١٢٩).
(٢) «صحيح البخاري» (١/ ٣٤)، «تفسير البغوي» (٢/ ٦٠)، «تفسير القرطبي» (٤/ ١٢٢).
(٣) «فتح الباري» (١/ ١٦٢).

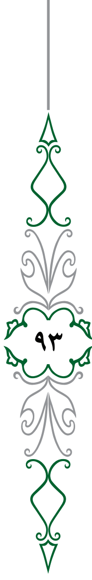
ولكن خذه مع الأيام والليالي، ولا تأخذ العلم جملة؛ فإن من رام أخذه جملة ذهب عنه جملة، ولكن الشيء بعد الشيء مع الليالي والأيام»[1].

قال الماوردي ﵀: «واعلم أن للعلوم أوائل تؤدي إلى أواخرها، ومداخل تفضي إلى حقائقها. فليبتدئ طالب العلم بأوائلها لينتهي إلى أواخرها، وبمداخلها لتفضي إلى حقائقها، ولا يطلب الآخر قبل الأول، ولا الحقيقة قبل المدخل، فلا يدرك الآخر ولا يعرف الحقيقة؛ لأن البناء على غير أسٍّ لا يبنى، والثمر من غير غرس لا يجنى»[2].

وقال ابن حجر ﵀: «تعليم العلم ينبغي أن يكون بالتدريج؛ لأنَّ الشيء إذا كان في ابتدائه سهلاً حُببَّ إلى من يدخل فيه، وتلقَّاه بانبساط، وكانت عاقبته - غالبًا - الازدياد بخلاف ضده»[3].

ودونك تراجم العلماء تجد أن هذا التدرج سنتهم وطريقتهم، وفي كل مذهب من المذاهب الأربعة المعتبرة تجد الطالب يتخرج في دراسته على سنن من المنهجية التي تأخذ بصغار العلم قبل كباره.

فتشبث بهذه القاعدة فإن التدرج معراج التخرج، ولا



(١) «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٤٣١).
(٢) «أدب الدنيا والدين» (ص٤٨).
(٣) «فتح الباري» (١/ ١٦٣).

تفلتها فينفلت زمام العلم من يديك، فتجهد نفسك دهرًا ولم تحصل شيئًا ذا بال.

وليكن شعارك:

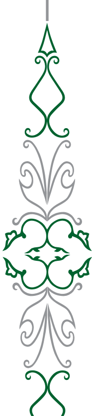
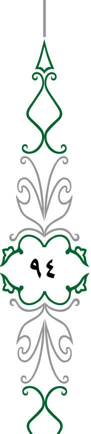
الـيَـوْمَ شَـيءٌ وَغَـدًا مِـثْـلُـهُ
مِـنْ نُـخَـبِ الـعِـلْـمِ الَـتِـي تُـلْـتَـقَـطْ
يُـحـصّـلُ الـمـرءُ بِـهَـا حِـكْـمَـةً
وَإِنَّـمَـا الـسَّـيْـلُ: اجْـتِـمَـاعُ الـنُّـقَـطْ

فكان طالب العلم يبدأ بحفظ القرآن الكريم ولا يتعدَّاه إلى غيره حتى يتقنه.

قال حافظ المغرب ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأول العلم حفظ كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وتفهمه وكل ما يعين على فهمه»[1].

وقال حافظ المشرق الخطيب البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ينبغي للطالب أن يبدأ بحفظ كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، إذ كان أجل العلوم وأولاها بالسبق والتقديم»[2].

وقال أبو الفضل عبد الرحمن الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وعلى الحفظ والتحفظ كان الصدر الأول ومن بعدهم، فربَّما قرأ الأكبر منهم على الأصغر منه سنًا وسابقة، فلم يكن الفقهاء

(١) «جامع بيان العلم وأهله» (٢/ ١١٢٩).
(٢) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١/ ١٠٥). ومن الموافقات أن هذين الحافظين - ابن عبد البر والخطيب البغدادي - توفيا في عام واحد (٤٦٣هـ) رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ وجزاهما عن الإسلام وأهله خيرًا.

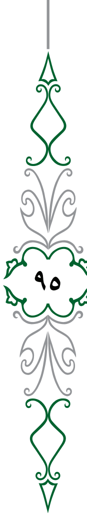
منهم ولا المحدثون والوعاظ يتخلَّفون عن حفظ القرآن والاجتهاد على استظهاره، ولا المقربون منهم عن العلم بما لم يسعهم جهله منه»[(١)].

قال ابن جريج رحمه الله: «أتيت عطاء وأنا أريد هذا الشأن - أي طلب العلم - وعنده عبد الله بن عبيد بن عمير، فقال لي عبد الله بن عبيد: قرأت القرآن؟ قلت: لا، قال: فاذهب فاقرأ القرآن ثم اطلب العلم»[(٢)].

وقال محمد بن الفضل بن محمد: سمعت جدي يقول: «استأذنت أبي في الخروج إلى قتيبة، فقال: اقرأ القرآن أولاً حتى آذن لك، فاستظهرت القرآن، فقال لي: امكث حتى تصلِّي بالختمة، ففعلت، فلما عيَّدنا، أذن لي»[(٣)].

وقال النووي رحمه الله: «وأول ما يبتدئ به حفظ القرآن العزيز فهو أهم العلوم وكان السلف لا يعلمون الحديث والفقه إلا لمن حفظ القرآن»[(٤)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وأما طلب حفظ القرآن: فهو مقدَّم على كثير مما تسميه الناس علمًا، وهو إمَّا باطل أو قليل النفع. وهو أيضًا مقدَّم في التعلم في حقِّ من يريد أن يتعلم علم الدين من الأصول والفروع، فإن المشروع




(١) «فضائل القرآن وتلاوته» (ص٣٣).
(٢) «تاريخ بغداد» (١٢/ ١٤٢).
(٣) «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٣٧١).
(٤) «المجموع» (١/ ٣٨).

في حقِّ مثل هذا - في هذه الأوقات - أن يبدأ بحفظ القرآن، فإنه أصل علوم الدين بخلاف ما يفعله كثير من أهل البدع من الأعاجم وغيرهم حيث يشتغل أحدهم بشيء من فضول العلم من الكلام أو الجدال»[1].

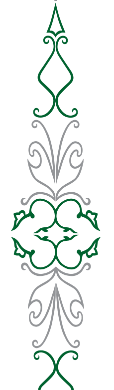
فإذا استكمل حفظ القرآن أو أكثره؛ نظر في كلِّ علم ما اشتهر من متونه المحررة التي ذاعت وشاعت وخدمها العلماء بالتعليق والشرح والتقرير[2]، فيأخذها على شيخ متقن؛ ليفهم مرامي المتن، ومقاصد المصنف، ومنطوق كلامه ومحترزاته، فإن استعصى عليه شيء رجع إلى أحد شروحه ليتضح له ما استغلق عليه، وإلا ذاكر بعض أقرانه في المسألة، أو سأل شيخه مستوضحًا لها.

واعلم: أن العلماء قد تدرجوا مع طلاب العلم وقسموهم إلى مستويات، فهناك المبتدي والمتوسط والمنتهي[3]، وكثيرًا ما تجدهم ينصُّون في كتبهم، وفي مقدماتها على الأخص أن هذا الكتاب:

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٣/ ٥٩).

(٢) قيل في الفرق بينها: **الشرح** برفع كل إبهام ودفع كل إيهام في المتن فهو شرح على الكتاب كله، **والتعليق**: شأنه الاقتصار على بعض المهم والعناية ببعض المُلِم، **والحاشية**: تعليقات يدونها العالم على نسخته من الكتاب على مواطن معينة فيه؛ استدراكًا، أو تفصيلاً، أو إيرادًا لمشكل أو تناقض، ويقوم بعض من يطلع على نسخته بتجريدها، وتوسَّع بعض العلماء في تسمية ما كتبه من شرحٍ حاشية، **والتقرير**: وهو شرح أو تعليق على الحاشية.

(٣) بل من الكتب ما سميت بذلك، مثل كتاب: «تلقين المبتدي وتذكرة المنتهي» للقاضي عبد الوهاب المالكي، وكتاب: «تدريب المبتدي وتهذيب المنتهي» لسراج الدين البلقيني.





«ينتفع به المبتدي، ويستغني به المنتهي»[١].

«إذا قرأه المبتدي وتصوره تنبه به على أكثر المسائل، وإذا نظر فيه المنتهي تذكر به جميع الحوادث»[٢].

«لينتفع به إن شاء الله تعالى المبتدي لقراءتها، والمنتهي لمطالعتها»[٣].

«وهذه المسألة متشعبة الأكناف ممتدة الأطراف، وقد حصَّلتها تحصيلًا متقنًا، ورتبتها ترتيبًا حسنًا، ينتفع بها المنتهى ويستعين بها المبتدى»[٤].

«ليكتفي به المبتدي عن المطالعة في غيره، والمتوسط عن المراجعة لغيره»[٥].

«ليقرب تناوله على المبتدئين ويسهل حفظه على الراغبين»[٦].

وقال الشيخ محمد بن قاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تقديمه لتعليقات شيخه العلامة محمد بن إبراهيم على كتاب: «آداب المشي إلى الصلاة»: «ولما كان الكتاب كما وصفه سماحة شيخنا بقوله: «مهم جداً ولا سيما لطالب العلم المبتدي». وكان أول

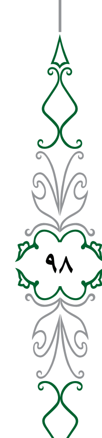
(١) «نهاية المطلب» (٤/ ٢٤٣).
(٢) «التنبيه في الفقه الشافعي» (ص١١).
(٣) «حاشية العدوي على كفاية الطالب» (١/ ٦).
(٤) «مناهج التحصيل» (٢/ ٣٦٥).
(٥) «الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع» (١/ ٤).
(٦) «أخصر المختصرات» (ص٨٦).

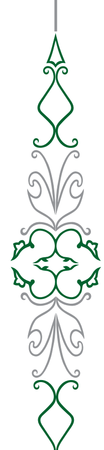


كتاب يحفظه الطلاب في الفقه، ثم ينتقلون بعده إلى «زاد المستقنع، وشرحه» في عصره»[1].

بل إن الإمام الموفق ابن قدامة ﷺ ألف كتبًا فقهية مراعيًا هذا التدرج العلمي للطالب:

فصنف: «**العمدة**» للطلاب المبتدئين، وبناه على قول واحد وهو ما ترجَّح لديه أنه هو المذهب، وذكر بعض الأدلة من الكتاب والسنة ليعتاد الطالب عليهما، ثم جعل لما بعد هذه المرحلة كتابًا اسمه: «**المقنع**»، وذكر فيه الروايات عن الإمام أحمد ليعتاد الطالب على المقارنة بينها، وليعلم أنَّ للإمام أكثر من رواية في بعض المسائل، فإذا تأهل الطالب عن هذه المرحلة انتقل إلى كتاب: «**الكافي**»، والذي ذكر فيه كثيرًا من الأدلة مع التفصيل في الروايات عن الإمام، فإذا أتقن الطالب هذا الكتاب كان مؤهلاً للاجتهاد في المذهب. فإذا سمت همَّت الطالب للفقه المقارن والخلاف العالي انتقل إلى: «**المغني**»، وفيه يطَّلع على الروايات، وخلاف الأئمة في المذاهب، وأدلتهم، والرد عليها، وعند ذلك تكون ملك الطالب الفقهية قد تكاملت - مع أخذه ما يجب من علوم الآلة - فيستطيع أن يرجِّح بين الأقوال ويوازن بينها.





(١) «شرح آداب المشي إلى الصلاة» (ص٧). وتعليقات الشيخ ﷺ التي قيدها عن شيخه العلامة ابن إبراهيم في هذا الكتاب وفي غيره دليل ظاهر على ضرورة التعليق والكتابة عن العلماء، وأهميتها لطالب العلم.

فهذه خطوات علمية عملية جعلها ابن قدامة لطلاب الفقه الحنبلي؛ ليكون التحصيل مبنيًا على أسس علمية.

وإنك لتعجب من بعض الطلبة الذين يقفزون هذه الخطوات وتتلقَّاه وبيده الكتب الكبار في سائر العلوم، فيزيِّن ظاهره العلمي ببعض المسائل التي يحكي الخلاف العالي فيها، ولكنَّ أُسُسه على شفا جرف هار! فإن العلم كالشجرة؛ لها أساس، ولها جذع، ولها أغصان وأوراق، فلا يكن حظك منه أوراق وأغصان تذروحها الرياح بعد حين.

فإن أردت يا طالب العلم التمكن من العلم؛ فعليك بجادَّة أهله في التدرج من مرحلة لأخرى غير مستعجلٍ في التحصيل ولا متكاسل عنه، ولو سرت على منهجٍ دقيق فإنك ستتأهل في أقل من عشر سنوات بإذن الله، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. والعلم من أعظم أفضال الله على المرء.







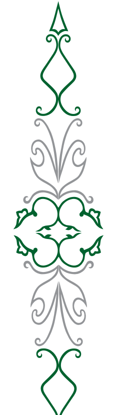
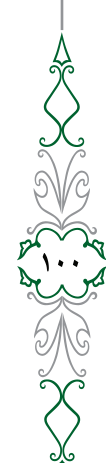
ضبط أصل مختصر في كل علم

ومن أصول التفوق في طلب العلم: أن يضبط في كل علم أصلاً مختصرًا، إما بالحفظ وهذا أولى وأفضل، فإن لم يقدر فبتكراره حتى يستظهر، ويتقنه، والمنظوم أيسر من المنثور في ذلك.

ولن يبرز طالب علم ما لم يضبط هذا الأمر، فيكون له متنٌ يختاره بعناية واستشارة ليتحفظه، وليكون زاده المقنع في هذا العلم، وليحرص على أصل توافرت همم العلماء على العناية به، ليسهل عليه فهمه.

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «وأول ما يبتدئ به حفظ القرآن العزيز فهو أهم العلوم وكان السلف لا يعلمون الحديث والفقه إلا لمن حفظ القرآن[1]، وإذا حفظه فليحذر من الاشتغال عنه بالحديث والفقه وغيرهما اشتغالاً يؤدي إلى نسيان شيء منه أو تعريضه للنسيان، وبعد حفظ القرآن: يحفظ مِن كلِّ فنٍّ مختصرًا، ويبدأ

(١) في حديث حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في البخاري (٦٤٩٧): «**أَنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ القُرْآنِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ**». قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «كذا في هذه الرواية بإعادة «ثم»، وفيه إشارة إلى أنَّهم كانوا يتعلَّمون القرآن قبل أن يتعلَّموا السنن. والمراد بالسنن: ما يتلقونه عن النبي ﷺ واجبًا كان أو مندوبًا». «فتح الباري» (١٣/ ٣٩).

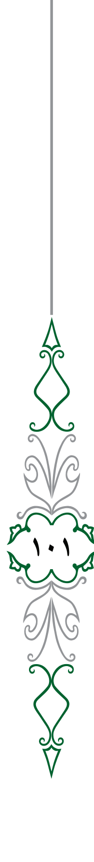



بالأهم، ومن أهمها: الفقه والنحو، ثم الحديث والأصول، ثم الباقي على ما تيسر»[1].

وقال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «... أما العلم النافع فهو العلم المزكِّي للقلوب والأرواح، المثمر لسعادة الدارين، وهو ما جاء به الرسول ﷺ من حديث وتفسير وفقه، وما يعين على ذلك من علوم العربية، بحسب حالة الوقت والموضع الذي فيه الإنسان.

وتعيين ما يشتغل به من الكتب يختلف باختلاف الأحوال والبلدان، والحالة التقريبية في نظرنا هذا: أن يجتهد طالب العلم في حفظ مختصرات الفن الذي يشتغل به، فإن تعذَّر أو قصر عليه حفظه لفظًا، فليكرره كثيرًا حتى ترسخ معانيه في قلبه، ثم تكون باقي كتب الفن كالتوضيح والتفسير لذلك الأصل الذي أدركه وعرفه... لأن طالب العلم إذا حفظ الأصول وكان له ملكة تامة في معرفتها هانت عليه كتب الفن كلها الصغار والكبار، ومن ضيع الأصول حرم الوصول... ومن سلك في طلبه للعلم غير الطريقة النافعة فاتت عليه الأوقات، ولم يدرك إلا العناء، كما هو معروف بالمشاهدة والتجربة »[2].

وطالب العلم الذي لا يحفظ متونًا هو كأوراق شجرة وليس بأصلٍ فيها!



---

(١) «المجموع» (١/ ٣٨).

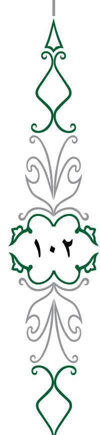
(٢) «الفتاوى السعدية» (ص٣٠).

فإن المتون قد وضعها علماء اختصروا لك فيها زُبد علم ذلك الفن الذي تدرسه، فتستطيع أن تستحضر من أصوله ما تشاء في كل حين، وهي دليل على تأصيل الطالب في علمه، وهي التي تبقى مع الطالب طوال عمره، وهي زينة حديث طالب العلم في حديثه وتأصيله. والعلم أوسع أن يحاط بمفرداته، ولكنَّ المتون تضبط للطالب قواعد ذلك العلم وأصول مسائله، «وما لا تحفظه فلست منه على ثقة»[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا بد أن يكون مع الإنسان أصول كلية ترد إليها الجزئيات ليتكلم بعلم وعدل، ثم يعرف الجزئيات كيف وقعت؟ وإلَّا فيبقى في كذب وجهل في الجزئيات، وجهل وظلم في الكليات فيتولد فساد عظيم»[2].

وقال المرداوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يحب على كلِّ من أراد إحكام علم أن يضبط قواعده؛ ليردَّ إليها ما ينتشر من الفروع، ثم يؤكد ذلك بالاستكثار من حفظ الفروع ليرسخ في الذهن؛ فيتميز على نظرائه بحفظ ذلك واستحضاره»[3].

والمتون التي تحفظ في كل متن تختلف من مِصرٍ إلى آخر، ومن مذهب لآخر، ومن طبقة لأخرى، فما يصلح

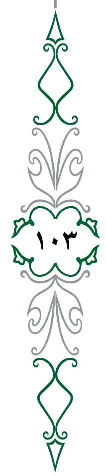
(١) من كلام ابن الأثير في «المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر» (١/ ١٣٨).
(٢) «مجموع الفتاوى» (١٩/ ٢٠٣).
(٣) «التحبير شرح التحرير» (٨/ ٣٨٣٧).

للمتوسط لا يصلح للمبتدي، وما يصلح للمنتهي لا يصلح لهما، وقد درج علماء هذه البلاد على ترتيب متون علمية محددة يتخرج بها الطالب في كل علمٍ.

والوصية العامة في هذا: عليك بالمتون المشهورة التي خدمها العلماء بالشرح والتحشية وتبيان غامضها، واستدراك فائتها، والتعليق عليها، وتجنب ما هجره أهل العلم من المتون.

وعليك بالحذر ممن يزهدك في حفظها، فهي ضابطة لعلمك، ووسيلة لجمع ما تفرق من تعريفات ومسائل عامة، وتقرب لك أصل ذلك العلم الذي تدرسه.

قال شيخنا ابن عثيمين رحمه الله: «وكثير من طلبة العلم يحفظ مسائل كثيرة لكن ليس عنده أصل. لو تأتيه مسألة واحدة شاذَّة عمَّا كان يحفظه ما استطاع أن يعرف لها حلاً، لكن إذا عرف الضوابط والأصول استطاع أن يحكم على كلِّ مسألة جزئية من مسائله، ولهذا فأنا أحثُّ إخواني على معرفة الأصول والضوابط والقواعد لما فيها من الفائدة العظيمة، وهذا شيء جربناه وشاهدناه مع غيرنا على أن الأصول هي المهم، ومنها حفظ المختصرات، وقد أراد بعض الناس أن يمكروا بنا فقالوا لنا: (إن الحفظ لا فائدة فيه، وإنَّ المعنى هو الأصل)، ولكنْ الحمدُ لله أنه أنقذنا من هذه الفكرة، وحفظنا ما شاء الله أن نحفظ من متون النحو وأصول الفقه

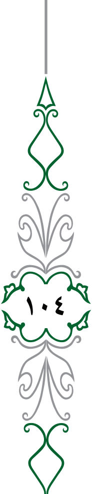




والتوحيد، وعلى هذا فلا يستهان بالحفظ، فالحفظ هو الأصل»[1].









(١) «مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد العثيمين» (٢٦/ ٢٠٥).

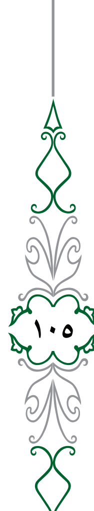
الحفظ والمذاكرة والتقييد

ومن قواعد تحصيل العلم وضبطه والنبوغ فيه: الحفظ والمذاكرة وتقييد الفوائد.

فأمَّا الحفظ، فإنه لا إتقان للعلم بلا حفظ كما تقرر[1]، وسبيل رسوخ المحفوظ هو مراجعته، وفتِّش في حال المتقدمين والمتأخرين والمعاصرين تجد أن معيار تميزهم - بعد توفيق الله - هو إتقان الحفظ مع فهم يهبه الله من يشاء من عباده.

وأصل الحفظ جاء في السنة النبوية فيما رواه عمرو بن أخطب رضي الله عنه قال: «صَلَّى بنا رسول الله ﷺ الفجر، وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل فصلَّى، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلَّى، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى غربت الشمس، فأخبرنا بما كان وبما هو كائن، فأعلمنا أحفظنا»[2].

وقال الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه: «باب حفظ العلم»، وأسند إلى أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «إن إخواننا من



(١) فالحفظ هو وسيلة لإتقان العلم وضبطه، لا غاية بحدِّ ذاته؛ إلا نصوص الوحيين.
(٢) مسلم (٢٨٩٢).

المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم، وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله ﷺ بشبع بطنه، ويحضر ما لا يحضرون، ويحفظ ما لا يحفظون»(١).

وقد كان علماء السَّلف الصالح لا يعتبرون الرجل من طلاب العلم ما لم يحفظ.

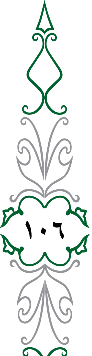
قال عبد الرزاق رحمه الله: «كل علم لا يدخل مع صاحبه الحمام فلا تعده علمًا»(٢).

وقال هشيم بن بشير رحمه الله: «من لم يحفظ الحديث فليس هو من أهل الحديث، يجيء أحدهم بكتاب يحمله كأنه سجلُّ مكاتب»(٣).

قال عبد الله بن المبارك، قال: قال لي أبي: لئن وجدت كتبك لأحرقنها، قال: فقلت له: وما علي من ذلك وهو في صدري(٤).

وقال الرحبي في منظومته في الفرائض:

الــثُّــلُــثَــانِ وَهُــمَــا الــتَّــمَــامُ
فَــاحْــفَــظْ فَــكُــلُّ حَــافِــظٍ إِمَــامُ

---

(١) البخاري (١١٨)
(٢) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (٢/ ٢٥٠)، وروى عن الأصمعي قوله: «كل علم لا يدخل مع صاحبه الحمام فهو زور».
(٣) «الكامل في الضعفاء» لابن عدي (١/ ١٨٥).
(٤) «تاريخ بغداد» (١١/ ٤٠٠).

واعلم أن بدايات الحفظ صعبة يجفل منها الطبع؛ حتى يرتاض عليها، فإن كان المحفوظ منثورًا كان أصعب، ولكن مع المراس والتكرار يسهل الحفظ[1].

وَصَـارَ مِـنْ عَـادَةِ أَهْـلِ الْـعِـلْـمِ
أَنْ يَـعْـتَـنُـوْا فِـيْ سَـبْـرِ ذَا بِـالـنَّـظْـمِ
لأَنَّـهُ يَـسْـهُـلُ لِـلْـحِـفْـظِ كَـمَـا
يَـرُوْقُ لِـلسَّـمْـعِ وَيَـشْـفِـيْ مِـنْ ظَـمَـا[2]

قال الزهري رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن الرجل ليطلب[3] وقلبه شِعب من الشِّعاب، ثم لا يلبث أن يصير واديًا، ولا يوضع فيه شيء إلا التهمه»[4].

وسبيل إتقان الحفظ التكرار إن مرَّة أو مائة مرَّة، ﴿قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۚ﴾ [الأعراف: ١٦٠].

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الطريق في إحكامه كثرة الإعادة، والناس يتفاوتون في ذلك: فمنهم من يثبت معه المحفوظ مع قلة التكرار، ومنهم من لا يحفظ إلا بعد التكرار

(١) قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما رأيت أصعب على النفس من الحفظ للعلم والتكرار له، خصوصًا تكرار ما ليس لها في تكراره وحفظه؛ حظ مثلُ مسائل الفقه، بخلاف الشعر والسجع؛ فإنَّ لها لذةً في إعادته، وإن كان يصعب». «صيد الخاطر» (ص٢٧٤).

(٢) البيتان من منظومة العقيدة السفارينية.

(٣) أي يطلب العلم.

(٤) «الحث على طلب العلم» لأبي هلال العسكري (ص٧١).



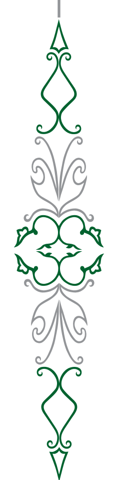
الكثير، فينبغي للإنسان أن يُعيد بَعد الحفظ ليثبت معه المحفوظ، وقد قال النبي ﷺ: «**تَعَاهَدُوْا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ أَشَدُّ تَفَصِّيًا مِنْ صُدُوْرِ الْرِّجَالِ مِنَ الْنَّعَمِ مِنْ عُقُلِهَا**»[(١)]. وكان أبو إسحاق الشيرازي يعيد الدرس مائة مرة، وكان إلكيا يعيد سبعين مرة[(٢)]، وقال لنا الحسن بن أبي بكر النيسابوري الفقيه: لا يحصل الحفظ إليَّ حتى يعاد خمسين مرة، وحكى لنا الحسن: أن فقيهًا أعاد الدرس في بيته مرارًا كثيرة، فقالت له عجوز في بيته: قد والله حفظته أنا. فقال: أعيديه، فأعادته. فلما كان بعد أيام، قال: يا عجوز! أعيدي ذلك الدرس، فقالت: ما أحفظه. قال: إني أكرر عَدَّ الحفظ لئلا يصيبني ما أصابك»[(٣)].

فعليك يا طالب العلم بتكرار المحفوظ، ثم التكرار، ثم التكرار، فهو سبيل الاتقان بإذن الله، ولا تنظر إلى الفروق الفردية بين الحفَّاظ فذلك من فضل الله على بعض الناس،

(١) أخرجه البخاري (٥٠٣٣) ومسلم (٧٩٠).

(٢) قال السبكي في «طبقات الشافعية الكبرى» (٧/ ٢٣٢): «وعن إلكيا قال: كانت في (مدرسة سرهنك) بنيسابور قناةٌ لها سبعون درجة، وكنت إذا حفظت الدَّرس أنزل القناة وأعيد الدرس في كل درجة مرة في الصعود والنزول. قال: وكذا كنت أفعل في كل درس حفظته. وفي بعض الكتب أنه كان يكرر الدرس على كل مرقاة من مراقي درج المدرسة النظامية بنيسابور سبع مرات، وأن المراقي كانت سبعين مرقاة. وكان يحفظ الحديث ويناظر فيه. وهو القائل: إذا جالت فرسان الأحاديث في ميادين الكفاح طارت رؤوس المقاييس في مهاب الرياح».

(٣) «الحث على حفظ العلم» (ص٤٨).





ولكن الأصل في الناس أن المحفوظ يتفلَّت ولا قيد له إلا التكرار.

أخرج مسلم من حديث أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**تَعَاهَدُوا هَذَا الْقُرْآنَ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الْإِبِلِ فِي عُقُلِهَا**»(١).

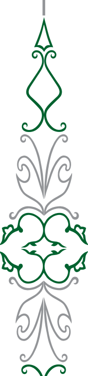
قال ابن عبد البر رحمه الله: «وفي هذا الحديث دليل على أن من لم يتعاهد علمه ذهب عنه أي من كان»(٢).

قال أبو بكر بن أبي شيبة رحمه الله: «أحفظُ ما رأيت في الدنيا ثلاثة: أبو مسعود أحمد بن الفرات، ومحمد بن مسلم بن وارة، وأبو زرعة الرازي»(٣). وقال الإمام أحمد أنه قال: «ما تحت أديم السماء أحفظ لأخبار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أبي مسعود»(٤).

وكان أبو مسعود الرازي رحمه الله يكرر كلَّ حديث خمسمائة مرة!(٥)

قال له رجل مرَّة: إنا ننسى الحديث! فقال: «أيكم يرجع في حفظ حديثٍ واحد خمسمائة مرة؟» قالوا: ومن





---

(١) مسلم (٧٩١).
(٢) «التمهيد» (١٤/ ١٣٣).
(٣) «الثقات» لابن حبان (٨/ ٣٦).
(٤) «سير أعلام النبلاء» (١٢/ ٤٨٥).
(٥) «تهذيب التهذيب» (١/ ٦٧).

يقوى على هذا، قال: «لذاك لا تحفظون»[1].

قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكنت جرَّدت من الأخبار النبوية كتابًا يشتمل على ثلاثة آلاف خبر، وما زلتُ أواظب على مطالعته مدَّة تزيد على عشر سنين، فكنت أُنهي مطالعته في كل أسبوع مرة، حتى دار على ناظري وخاطري ما يزيد على خمسمائة مرة، وصار محفوظًا لا يشذُّ عني منه شيء»[2].

وأما المذاكرة: فإنه لا بد من المذاكرة والمدارسة للعلم ليثبت، وليستطيع طالب العلم تأصيل المسائل وتنزيلها عل الجزيئات، فضلاً أن المحفوظ من العلم سبيل تثبيته: الاستذكار، وحياته المذاكرة[3]، وقلَّما ينسى طالب العلم مسألة ذاكر وناقش فيها غيره، «فالعلم يحفظ بأمرين: تذاكر وفَهْم»[4].

والأصل في المذاكرة ما كان يقع بين النبي ﷺ وجبريل عليه السلام من مذاكرة القرآن في رمضان.

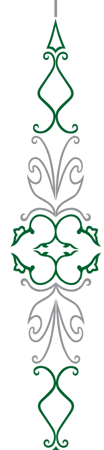
أخرج البخاري عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين

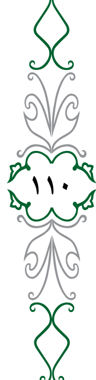
(١) «تهذيب الكمال في أسماء الرجال» (١/ ٤٢٤).

(٢) «المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر» (١/ ١٣٨).

(٣) ومن ذلك قول علقمة رَحِمَهُ اللَّهُ: «تذاكروا الحديث؛ فإن إحياءه ذكره». «جامع بيان العلم» (١/ ٤٢٤)، وقول عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: «إحياء الحديث مذاكرته» (١/ ٤٢٦).

(٤) من كلام الشيخ حمد بن عتيق رَحِمَهُ اللَّهُ «الدرر السنية» (٤/ ٣٤٥).





يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة»[1].

وقد كان هذا دأب العلماء السابقين واللاحقين:

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «الدراسة صلاة»[2].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ««تذاكر العلم بعض ليلة أحب إليَّ من إحيائها»[3].

قال الزهري رحمه الله: «إنما يُذهب العلم: النسيان، وترك المذاكرة»[4].

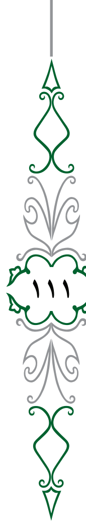
وقال سعيد بن عبد العزيز: كان زياد بن جارية إذا خلا بأصحابه قال: «أخرجوا مُخبَّآتكم»[5].

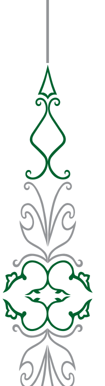
وقال جعفر بن محمد رحمه الله: «القلوب تُرْبٌ، والعلم غرسها، والمذاكرة ماؤها، فإذا انقطع عن الترب ماؤها جف غرسها»[6].

وقال الخليل بن أحمد: «ذاكر بعلمك تذكر ما عندك، وتستفد ما ليس عندك»[7].

---

(١) أخرجه البخاري (٧)، ومسلم (٢٣٠٨).
(٢) «جامع بيان العلم» (١/ ١٠٤).
(٣) «جامع بيان العلم» (١/ ١١٧).
(٤) «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٣٣٧).
(٥) «تاريخ الإسلام» للذهبي (٢/ ٩٣٦).
(٦) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (٢/ ٢٧٨).
(٧) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (٢/ ٢٧٣).





وقال عبد الله بن المعتز: «مَنْ أكثر مذاكرة العلماء لم ينس مَا عَلِم، واستفاد ما لم يعلم»[1].

قال علي بن الحسن بن شقيق: «كنت مع عبد الله بن المبارك في المسجد في ليلة شتوية باردة فقمنا لنخرج، فلما كان عند باب المسجد ذاكرني بحديث أو ذاكرته بحديث، فما زال يذاكرني وأذاكره حتى جاء المؤذن فأذن لصلاة الصبح»[2].

ومما حُفظ عن الأسلاف: «حفظُ سطرين خيرٌ من كتابة وِقْرَين، وخيرٌ منهما مذاكرةُ اثنين»[3].

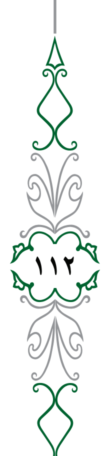
ومن لطائف المذاكرة وغزارة الحفظ ما ذكره الحافظ ابن فهد المكي رحمه الله: أن الحافظ ابن قاضي الجبل - تلميذ شيخ الإسلام - رحمهما الله دخل القاهرة، والتقى الحافظ سراج الدين البلقيني بعد صلاة العشاء بحضور جماعة من العلماء.

فقال ابن قاضي الجبل: يا سراج الدين أيُّنَا أحفظ: أنا أم أنت؟

فقال البلقيني: سبحان الله! أنتم كذا وكذا، أي: في الحفظ والعلم.

فقال ابن قاضي الجبل: أَسْتَحْضِرُ أنا وأنت.





(١) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (٢/ ٢٧٣).
(٢) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (٢/ ٢٧٦).
(٣) «فتح المغيث» (٣/ ٣٣٠).

فقال البلقيني: أنا استحضرت حديثًا فتذكر طُرقه، ثم تذكر حديثًا وأذكر طُرقه، أو كلٌّ منا يذكر حديثًا وطرقه.

فقال ابن قاضي الجبل: اذكرْ أنت.

فبدأ الحافظ البلقيني في المذاكرة، فبدأ بذكر **الأحاديث المعللة** من أوَّل أبواب الفقه، فطلع عليهم الفجر وهو يسرد **الأحاديث المعللة وطرقها** وقد وصل إلى كتاب النكاح!

عند ذلك قام ابن قاضي الجبل وقبَّل بين عينيه وقال: «يا سراج الدين! ما رأيت بعد الشيخ - يعني شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية- أحفظَ منك»[(١)].

(١) «لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ» (ص١٣٩). وقد نقل الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ عن جمال الدين السومري: «ومن عجائب ما وقع في الحفظ من أهل زماننا أن ابن تيمية كان يمرُّ بالكتاب مطالعةً مرة فينتقش في ذهنه، وينقله في مصنفاته بلفظه ومعناه». «الدرر الكامنة» (١/ ١٧٨). وقال البزار رَحِمَهُ اللَّهُ عن حفظ شيخه - شيخ الإسلام ابن تيمية - رَحِمَهُ اللَّهُ: «أما معرفته وبصره بسنة رسول الله ﷺ وأقواله وأفعاله وقضاياه ووقائعه وغزواته وسراياه وبعوثه وما خصه الله تعالى من كراماته ومعجزاته، ومعرفته بصحيح المنقول عنه وسقيمه، وبقية المنقول عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في أقوالهم وأفعالهم وقضاياهم وفتاويهم وأحوالهم، وأحوال مجاهداتهم في دين الله، وما خصُّوا به من بين الأمة: فإنه كان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أضبط الناس لذلك، وأعرفهم فيه، وأسرعهم استحضارًا لما يريده منه، فإنه قلَّ أن ذَكر حديثًا في مصنَّف أو فتوى أو استشهد به أو استدل به؛ إلا وعزاه في أيِّ دواوين الإسلام هو، ومن أيِّ قسم من الصحيح أو الحسن أو غيرهما، وذكر اسم راوية من الصحابة، وقلَّ أن يُسأل عن أثر إلَّا وبين في الحال: حاله، وحال أمره وذاكره. **ومن أعجب الأشياء في ذلك**: أنه في محنته الأولى بمصر؛ لما أُخذ وسجن وحيل بينه وبين كتبه، صنَّف عدة كتب صغارًا وكبارًا وذكر فيها ما احتاج إلى ذكره من الأحاديث والآثار، وأقوال العلماء، وأسماء المحدثين والمؤلفين =





أما التقييد: فالمقصود به تقييد ما يمر على الطالب من فوائد عزيزة ونادرة؛ خاصة أن بعضها لا يكون في مضان ذكره، فلا بدَّ للطالب أن يجعل قيد القراءة معه دومًا فيروض نفسه على تقييد الفائدة التي تمر به، ولا يجعلها رهينة الذاكرة، «فالعلم صيد والكتابة قيد، وكثيرًا ما يقرأ الإنسان شيئًا فيعجبه، ويظن أنه قد عَلق بذاكرته، فإذا هو في الغَدِ قد ضاع منه العلم، وضاع معه مفتاحه، فانتهى إلى حيرةٍ في استعادته واسترجاعه»[1].

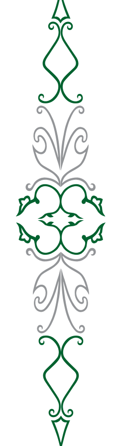
قال النووي ﷺ: «وإذا بحث المختصرات انتقل إلى بحث أكبر منها، مع المطالعة المتقنة والعناية الدائمة المحكمة **وتعليق** ما يراه من النفائس، والغرائب، وحل المشكلات؛ مما يراه في المطالعة أو يسمعه من الشيخ، ولا يحتقرن فائدة يراها أو يسمعها في أي فنٍّ كانت، بل يبادر إلى كتابتها، ثم يواظب على مطالعة ما كتبه، ولْيُلازم حلقةَ الشيخ، وليعتن بكل الدروس ويعلِّق عليها ما أمكن»[2].

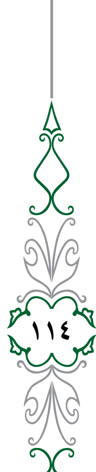
فالزم - يا طالب العلم - القيدَ في دَرسك للكتب،

= ومؤلفاتهم، وعزا كل شيء من ذلك إلى ناقليه وقائليه بأسمائهم، وذكر أسماء الكتب التي ذُكر فيها، وأي موضع هو منها، كل ذلك بديهة من حفظه؛ لأنه لم يكن عنده حينئذ كتاب يطالعه، ونقَّبت واختبرت واعتبرت فلم يوجد فيها بحمد الله خلل ولا تغير، ومن جملتها كتاب: «الصارم المسلول على شاتم الرسول». وهذا من الفضل الذي خصه الله تعالى به». «الأعلام العليَّة» (ص٢١). وكان عُمر شيخ الإسلام حينها **٣٢** عامًا.

(١) من كلام شيخ المحققين عبد السلام هارون ﷺ في «كناشة النوادر» (ص٥).

(٢) «المجموع» (١/ ٣٨).





واعتنِ بهذه المقيدات التي مع الأيام ستتكاثر عندك؛ فتصبح ثروة علمية هائلة لك.

قال السخاوي رحمه الله يحكي تحسَّر شيخه الحافظ ابن حجر رحمه الله على تفويته تدوين بعض الفوائد: «وأما التفسير، فكان فيه آية من آيات الله تعالى، بحيث كان يظهر التأسف في إهمال تقييد ما يقع له من ذلك مما لا يكون منقولاً»(١).

فأين أنت يا طالب العلم من حِفْظِ الحَافظ واستحضاره، ومع ذلك هذا نَدمُه ينقله لك أخصُّ تلاميذه! فلا تثق بذاكرتك، وثق بما يكتبه المداد، فإن ما حُفِظَ فَرَّ، وما كُتِبَ قَرَّ.

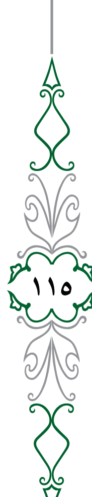
ودونك فوائد وشرائد اجتمعت لدى العلماء فخرج منها كتبٌ كبار، كـ«الفنون»(٢) لابن عقيل، و«بدائع الفوائد»(٣)، و«الفوائد» لابن القيم، و«مجموع ابن منقور» المسمى: «الفواكه العديدة في المسائل المفيدة» والذي كان من خبره: أنه كان يقرأ على شيخه عبد الله بن ذهلان في متن «الإقناع» للحجاوي، وكان حريصًا على كتابة ما يسمعه من شيخه أثناء الدرس، فنهاه الشيخ عن الكتابة لئلا ينشغل بها عن الفهم، فكان إذا انتهى الدرس قيَّد ما سمعه من شيخه، وزاد عليه

---

(١) «الجواهر والدرر» (٢/ ٦١١).

(٢) قال الذهبي رحمه الله: «وعلّق كتاب (الفنون)، وهو أزيد من أربعمائة مجلد، حشد فيه كل ما كان يجري له مع الفضلاء والتلامذة، وما يسنح له من الدقائق والغوامض، وما يسمعه من العجائب والحوادث». «سير أعلام النبلاء» (١٩/ ٤٤٥).

(٣) زادت صفحاته في طبعته الأخيرة على ألف وسبعمائة صفحة.



بعض الفوائد والشوارد التي ناسب ضمها مع مسائل الكتاب[1].

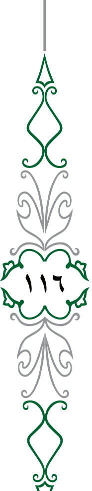
وربَّما كان تقييد الفوائد على طرَّة الكتاب من الداخل بعبارات مختزلة تكون كالفهرس الخاص منك للكتاب، وهذا فيه فوائد عظيمة، تجعل الكتاب طوع يديك، وثمرته قريبة المنال منك.

وكيفما كانت طريقة التقييد فهي حسنة كافية بإذن الله، والمقصود ألا تفوتك فائدة ترى أنها عِلْق إلا علَّقتها في تقييداتك، وسيجتمع لديك بعد زمنٍ ما لا يخطر لك على بالٍ.

وأختم بما قاله شيخنا ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هناك فوائد لا تكاد تطرأ على الذهن، أو التي يندر ذكرها والتعرض لها، أو التي تكون مُستَجدة تحتاج إلى بيان الحكم فيها، فهذه اقتنصها وقيدها بالكتابة، ولا تقلْ: هذه معلومة عندي، ولا حاجة أن أقيدها؛ لأنها سرعان ما تُنسى، وكم من فائدة تمرُّ بالإنسان فيقول هذه سهلة ما تحتاج إلى قَيد، ثم بعد فترةٍ وجيزة يتذكرها ولا يجدها»[2].







(١) وقد طبع الكتاب عام ١٣٨٠هـ، في ألف صفحة.

(٢) «مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد العثيمين» (٢٦/ ٢١٠).

الصبر على طلب العلم

وليعلم طالب العلم أن تحصيله يحتاج إلى صبر ومصابرة، فإن العلم صعب وطويل سُلَّمه، فهو «عزيز الجانب، لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كُلك، وأنت إذا أعطيته كُلك كنت من إعطائه إياك البعض على خَطر»[1].

جاء في ترجمة يحيى بن يحيى الليثي رَحِمَهُ اللَّهُ أنه رحل من الأندلس إلى المشرق ليأخذ عن علمائها فكان يومًا عند الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ فمرَّ على باب الإمام فيلٌ، فصاح صائح: قد حَضر الفيل! فخرج من كان عند الإمام إلا هو، فقال له: لِمَ لَمْ تخرج لتنظر الفيل وهو لا يكون في بلادك؟ فقال له: لم أرحل لأبصر الفيل، وإنما رحلت لأشاهدك وأتعلَّم من علمك وهديك، فأعجبه ذلك منه، وسماه: عاقل الأندلس[2].

(١) نسبها للجاحظ: أبو هلال العسكري في «الحث على طلب العلم» (ص٤٢).
ثم عقَّب بقوله: «فإذا كنت أيها الأخ ترغب في سمو القدر ونباهة الذكر وارتفاع المنزلة بين الخلق، وتلتمس عزًا لا تثلمه الليالي والأيام ولا تتحيفه الدهور والأعوام، وهيبة بغير سلطان، وغنى بلا مال، ومنعة بغير سلاح، وعلاء من غير عشيرة، وأعوانًا بغير أجر، وجندًا بلا ديوان وفرض، فعليك بالعلم، فاطلبه في مظانه، تأتك المنافع عفوًا، وتلق ما يعتمد منها صفوًا، واجتهد في تحصيله ليالي قلائل، ثم تذوق حلاوة الكرامة مدة عمرك، وتمتع بلذة الشرف فيه بقية أيامك، واستبق لنفسك الذكر به بعد وفاتك».

(٢) **ينظر**: «جذوة المقتبس» (ص٣٨٢)، «ترتيب المدارك» (٣/ ٣٨٣)، وفيه: «قال **إبراهيم بن باز**: والله الذي لا إله إلا هو، ما رأيت أوقر من يحيى =





ومن خبره معه أيضًا أن يحيى رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «أوَّل ما حدثني به مالك في خاصة نفسي حين أتيته طالبًا لِمَا ألهمه الله عَزَّوَجَلَّ إليه في أول يوم جلست إليه أن قال لي: ما اسمك؟ فقلت: له أكرمك الله يحيى، وكنت أَحَدث أصحابه سِنًا. فقال لي: يا يحيى! الله الله، عليك بالجدِّ في هذا الأمر»[1].

فنفعه الله بهذه الوصية أيما نفع، وأصبح من أشهر رواة الموطأ عنه رَحِمَهُمَا اللَّهُ.

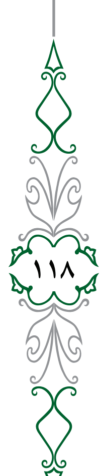
ومن وصية العلامة حمد بن عتيق رَحِمَهُ اللَّهُ لبعض طلابه: «أوصيك بالحرص على تعلُّم العلم الموروث عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم اعلم أن ذلك لن يُنال إلا على جسر من التعب والمشقة، تحت ظلم الليل، **وذلك بشيئين**: شيء في أوله، وشيء في آخره .**فالذي في أوله**: إدامة المطالعة، والحفظ لذلك على المصباح، **والذي في آخره**: الوقوف في مواقف الابتهال، والانطراح بين يدي ذي العزة والجلال، والتضرع

= بن يحيى قط؛ ما رأيته يبصق، ولا يسعل في مجلسه، ولا يتحرك عن حاله، وكان أخذ بزيِّ مالكٍ وسمته. قال يحيى: لما ودعت مالكاً سألته أن يوصيني. فقال لي: عليك بالنصيحة لله، ولكتابه، ولأئمة المسلمين وعامتهم، ثم قدمت على الليث، فلما حان فراقي إياه، قلت له مثل مقالتي لمالك. فقال لي مثل قوله سواء». وهي وصية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي رواها عنه تميم الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**» قلنا: لمن؟ قال: «**لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**». أخرجه مسلم (٥٥).

وهكذا هم أئمة أهل السنة والجماعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، يعملون بوصيته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلزوم الجماعة وإمامهم، وينهون عن التفرق والتشعب في مسالك الردى والبدع.

(١) «الجامع لمسائل المدونة» (٢٤/ ٩٩).

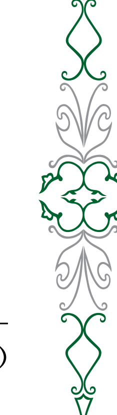




بالأسحار، وتلاوة القرآن بالتدبر والتفكر؛ فهذا عنوان السعادة، وسمة أهل الولاية والزهادة. اللهم ألحقنا بآثار الصالحين»[1].

أسأل الله العظيم، رب العرش الكريم، أن يرزقنا العلم النافع، والعمل الصالح، وأن يجعل ما علمنا حجة لنا لا علينا.









(١) «الدرر السنية» (٤/ ٣٤٧).

الفصل الثالث

الفوائد المنتقاة
من كلام شيخنا ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ
في العلم وأهله

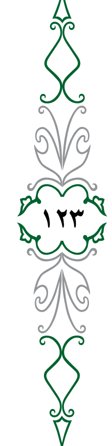




الفوائد المنتقاة من كلام شيخنا ابن باز رحمه الله في العلم وأهله

أمضى شيخنا عبد العزيز بن باز رحمه الله أكثر من ثمانين عامًا متعلمًا ومُعلِّمًا(١)، وتخرَّج على يديه علماءُ هذه البلاد وقضاتها وفضلاؤها إمَّا مشافهة أو بواسطة، ومَن شدا شيئًا من العلم في زمانه فلا بدَّ أنه مرَّ بحلقته التي تعلوها السكينة

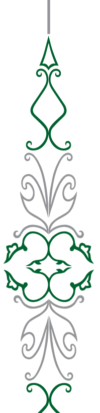
(١) قال ابن القيم رحمه الله: «أفضل منازل الخلق عند الله منزلة الرسالة والنبوة؛ فالله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس. وكيف لا يكون أفضل الخلق عند الله من جعلهم وسائط بينه وبين عباده في تبليغ رسالاته، وتعريف أسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه، ومراضيه ومساخطه وثوابه وعقابه، وخصَّهم بوحيه، واختصهم بتفضيله، وارتضاهم لرسالته إلى عباده، وجعلهم أزكى العالمين نفوسًا، وأشرفهم أخلاقًا، وأكملهم علومًا وأعمالاً، وأحسنهم خِلْقة، وأعظمهم محبَّة وقبولاً في قلوب الناس، وبرأهم من كل وصم وكل عيب، وكل خُلُق دنيء؟! وجعل أشرف مراتب الناس بعدهم: مرتبةَ خلافتهم ونيابتهم في أممهم، فإنهم يخلفونهم على منهاجهم وطريقتهم من نصيحتهم الأمة، وإرشادهم الضَّال، وتعليمهم الجاهل، ونصرهم المظلوم، وأخذهم على يد الظالم، وأمرهم بالمعروف وفعله، ونهيهم عن المنكر وتركه، والدعوة الى الله بالحكمة للمستجيبين، والموعظة الحسنة للمعرضين الغافلين، والجدال بالتي هي أحسن للمعاندين المعارضين. فهذه حال اتباع المرسلين وورثه النبيين؛ قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يُوسُف: ١٠٨]،... فهؤلاء خلفاء الرسل حقًا، وورثتهم دون الناس، وهم أولو العلم الذين قاموا بما جاء به علمًا وعملاً، وهداية وإرشادًا، وصبرًا وجهادًا، وهؤلاء هم الصِّديقون، وهم أفضل أتباع الأنبياء». «مفتاح دار السعادة» (١/ ٢١٥).




وهيبة العلم، أو استفاد من مجالسه العامة العامرة، أومن مجالسته الخاصة.

وقد منَّ الله ﷻ عليَّ بحضور تلك المجالس النيرة، والرياض الزاهرة، في دروسٍ مباركة، وحلقاتٍ نافعة، فنهلت من علمه الجمِّ، وأدبه الضخم، وتوجيهاته المسدَّدة، في قرابة عشر سنوات متتاليات؛ حتَّى أكرمني وخصَّني رحمه الله بتكليفي بالقراءة عليه من كتاب «المسند» للإمام أحمد رحمه الله، فكنت أقرأ عليه فجر الخميس من كل أسبوع، مع حضور دروسه المباركة في الكتب الأخرى؛ حتى أصبحت تلك الأوقات العامرة بالعلم والطمأنينة من أجمل اللحظات وأسعد الأوقات، وكنا إذا سافر سماحته إلى الطائف في رحلته السنوية في الصيف ننكر قلوبنا، وتتلهَّف نفوسنا إلى تلك الدروس والحلقات المباركات النافعات، وذلك لما منَّ الله به على سماحته رحمه الله من سعة في العلم، ومحافظة على السنة، وتطبيقها والتزامها واقعًا مشاهدًا، حتَّى كأنما ترى رجلاً من رجالات السلف الكرام الأعلام.

وهكذا مَن مَنَّ الله عليه بمجالسته والأخذ عنه عَلِم عظيم مقامه في الإسلام، وعظيم ما ادخر الله له من العلم مع تأخر زمانه، وكأن قول سهل التستري رحمه الله: «من أراد أن ينظر إلى مجالس الأنبياء فلينظر إلى مجالس العلماء، فاعرفوا لهم ذلك»[1] يصدق عليه، وعَلم صواب قول ابن مالك رحمه الله:




---

(١) «الفقيه والمتفقه» (١/ ١٤٩).

«واذا كانت العلوم منحة إلهية، ومواهب اختصاصية، فغير مُستبعدٍ أن يدَّخر لبعض المتأخرين ما عَسُر على كثيرٍ من المتقدمين»(١).

وقد كنتُ جمعتُ شيئًا من الفوائد من مطبوعات كتبه في مسائل كثيرة، وقد ناسب أن أدرج ما يتعلق بالعلم في خاتمة هذا الكتاب، وهي خاتمة حسنة للكتاب بإذن الله، أسأل الله أن يمنَّ علينا بحسن الخاتمة، وليس لي منها إلا عناوين الفوائد(٢).

أسأل الله جَلَّ وَعَلَا أن يغفر لشيخنا، شيخ الإسلام في زمانه، وزينة الدنيا في أوانه(٣)، وأن يرحمه، وأن يعلي درجاته، وأن يجعله مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وأن يبارك في علمه، ويجعله من إرثه الباقي، وأن يجمعنا به في أعلى عليين ووالدينا وذرياتنا أجمعين(٤).

---

(١) «تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد» (ص٢).

(٢) وزدتُ بعض الأحرف القليلة لربط بعض الجمل وجعلتها بين معكوفتين.

(٣) من لطيف آداب المحدثين عند قراءة الطالب على شيخه: الثناء على الشيخ حال الرواية عنه بما هو أهله، وأن يدعو له ويعتني بذلك. **ينظر**: «تدريب الراوي» (٢/ ٧٠٠).

(٤) قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللهُ: حدثنا القاضي أبو علي الصدفي، قال: سمعتُ شيخنا أبا محمد التميمي الحنبلي يقول: «يقبح بكم أن تستفيدوا منا، ثم تذكرونا ولا تترحموا علينا». «الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع» (ص٢٢٦)، وهي في «تاريخ قضاة الأندلس» (ص١٣٣) بلفظ: «ما لكم تأخذون العلم عنَّا وتستفيدونه منا، ثم لا تترحمون علينا؟!».
وأبو محمد التميمي قال عنه الذهبي نقلاً عن السمعاني: «هو فقيه الحنابلة وإمامهم، قرأ القرآن والفقه والحديث والأصول والتفسير والفرائض واللغة =



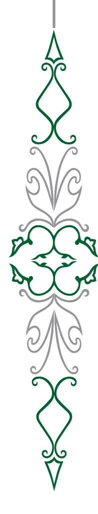


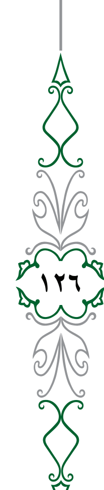
وجوب التعلم

* الواجب على جميع المكلفين من الرجال والنساء، من الجن والإنس، من العرب والعجم، أن يتعلَّموا دين الله، ويتفقهوا في هذه العبادة التي خلقوا لها، وهي الإسلام، وهي الإيمان والهدى، وهي توحيد الله وطاعته، عليهم أن يتفقهوا ويتعلموا من طريق القرآن الكريم والسنة المطهرة[(١)].

* [فـ]ـعلى الإنسان أن يتعلم ويتصبر حتى يكون على بينة ويعرف دين الله الذي خلق الله من أجله وهذا العلم هو معرفة الله ومعرفة نبيه ومعرفة دين الإسلام بالأدلة[(٢)].







= العربية، وعُمِّر حتى قُصد من كل جانب، وكان مجلسه جَمَّ الفوائد، كان يجلس في حلقة له بجامع المنصور للوعظ والفتوى، وكان فصيح اللسان» ولد سنة ٤٠٠هـ، وتوفي سنة ٤٨٨هـ.

لطيفة: ومن احترام التلميذ لشيخه ما حكاه السخاوي عن شيخه ابن حجر في برِّه بشيوخه أنه همَّ بتتبع شيخه الحافظ الهيثمي في كتابه: «مجمع الزوائد»، فبلغه أنَّ الشَّيخ تأثَّر مِنْ ذلك، فرجع مراعاةً لخاطره. «الجواهر والدرر» (٣/ ١٠١٤).

(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢٣/ ٣٢٠).

(٢) «شرح ثلاثة الأصول» (ص٧).

الواجب على المكلف

❋ الواجب على المكلف من الرجال والنساء العناية والتبصر في الدين؛ لأننا مخلوقون لنعبد الله، يقول الله سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذّاريات: ٥٦]، والله أرسل الرسل لهذا الأمر؛ ليبصروا الناس ويعلِّموهم، وعلى رأسهم نبينا وإمامنا وسيدنا محمد بن عبد الله عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم، فهو أفضل الرسل، وهو إمامهم، وهو خاتمهم، وهو نصيبنا منهم عليه الصلاة والسلام، فالواجب علينا جميعًا: أن نتعلم ديننا من كتاب ربنا، ومن سنة نبينا عليه الصلاة والسلام حتى نعلم العبادة التي خلقنا لها، نتعلمها من كلام ربنا، ومن كلام رسوله، فما أمر الله به ورسوله فهو العبادة، وما نهى عنه الله ورسوله فهو المنكر الذي يترك، والطريق إلى هذا: العلم والعلماء الشرعيون، العلماء الفقهاء في دين الله، المعروفون بالخير والاستقامة هم الواسطة بين العامة وبين كتاب الله، وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام(١).

❋ [فـ]ـالواجب على كل مكلف أن يتعلَّم ما لا يسعه جهله، من الرجال والنساء، حتى يتعلَّم ما أوجب الله



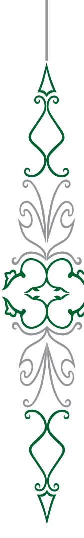
---
(١) «فتاوى نور على الدرب» (١٧/ ٣٨٠).

عليه وما حرم الله عليه، وحتى يؤدي ما أوجب الله عليه على بصيرة، وحتى يمتنع عما نهي الله عنه على بصيرة[(١)].

* [و] من جهل الحقَّ وجب عليه أن يسأل أهل العلم المعروفين بالعلم والفضل، وحسن العقيدة والسيرة، ويتبصر في ذلك، مع تقدير العلماء، ومعرفة فضلهم، والدعاء لهم بمزيد من التوفيق وعظيم الأجر؛ لأنهم سبقوا إلى الخير العظيم، وعلموا وأرشدوا، وأوضحوا الطريق، فرحمة الله عليهم، فلهم فضل السبق، وفضل علمهم ودعوتهم إلى الله[(٢)].

* [فـ]ـالعامة وأشباه العامة يسألون أهل العلم، ويتحرون في أهل العلم، من هو أقرب إلى الخير وأقرب إلى السداد والاستقامة[(٣)].







(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢٣/ ٢٥٠).
(٢) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢/ ٣١١).
(٣) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢/ ٣١٢).

العلم النافع

❊ العلم النافع من أسباب الهداية، ومن حرم العلم حرم خيرًا كثيرًا، ومَن رُزق العلم النافع فقد رزق أسباب السعادة إذا عمل بذلك واتقى الله في ذلك(١).

❊ [فـ] ـالعلم النافع، والفقه في الدين الذي هو علامة السعادة، هو العلم الذي يؤثر في صاحبه خشية الله، ويورثه تعظيم حرمات الله ومراقبته، ويدفعه إلى أداء فرائض الله وإلى ترك محارم الله، وإلى الدعوة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، وبيان شرعه لعباده(٢).

❊ [و] الفقه في الدين هو: الفقه في كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، والفقه في سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو الفقه في الإسلام من جهة أصل الشريعة، ومن جهة أحكام الله التي أمرنا بها، ومن جهة ما نهانا عنه سبحانه وتعالى، ومن جهة البصيرة بما يجب على العبد من حقِّ الله وحقِّ عباده، ومن جهة خشية الله وتعظيمه ومراقبته(٣).





---

(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٩/ ١٣١).
(٢) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (١٠/ ٧).
(٣) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (١٠/ ٦).

العلم طريق العبادة

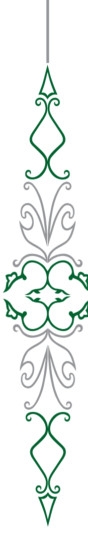
الله خلق الثقلين ليعبدوه، وليتقوه ولا سبيل إلى هذا إلا بعلم الشرع، علم الكتاب والسنة[١].



شرف العلم بشرف مقصوده

[العلم] أفضل شيء وأشرفه لمن أصلح الله نيته؛ لأنه يتوصل به إلى معرفة أفضل واجب، وأعظم واجب، وهو توحيد الله والإخلاص له، ويتوصل به أيضًا إلى معرفة أحكام الله، وما أوجب على عباده[٢].





(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢/ ٣١١).

(٢) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢/ ٢٥).

إعراض أهل الزمان عن العلم النافع

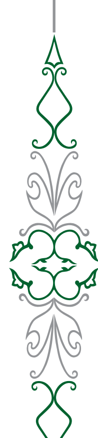
نحن في زمان غلب فيه الجهل، وقل فيه العلم، وأقبل الناس إلا من شاء الله، على علوم أخرى وعلى مسائل أخرى تتعلق بالدنيا، فقل علمهم بالله وبدينه؛ لأنهم شغلوا بما يصدهم عن ذلك، وصارت أغلب الدروس في أشياء تتعلق بالدنيا، أما التفقه في دين الله، والتدبر لشريعته سبحانه، وتوحيده، فقد أعرض عنه الأكثرون، وأصبح من يشتغل به اليوم هو أقل القليل[1].



فضل العلم الشرعي

العلم الشرعي هو أفضل العلوم وهو الجدير بالطلب والحرص على تحصيله، لأنه به يعرف الله سبحانه وتعالى وبه يعبد. وبهذا العلم يعرف ما أحل الله وما حرم وما يرضيه وما يسخطه، وبهذا العلم يعرف المصير إليه والنهاية من هذه الحياة، وأن قِسْمًا من هؤلاء المكلفين ينتهون إلى الجنة والسعادة، وأن الآخرين وهم الأكثرون ينتهون إلى دار الهوان والشقاء[2].





(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢/ ٣٠٨).

(٢) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢/ ٣١١).

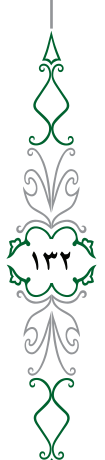
العلم الممدوح في نصوص الوحيين

❊ العلم هو ما دل عليه كتاب الله ﷻ وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام[(١)].

❊ [فـ]ـالعلم: قال الله قال رسوله، هذا هو العلم الشرعي؛ العلم (بالله وبدينه)[(٢)]، وبكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وما يعين على ذلك[(٣)].

❊ [و] عند علماء الإسلام المراد بالعلم هو: العلم الشرعي، وهو المراد في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ عند الإطلاق وهو: العلم بالله وبأسمائه وصفاته، والعلم بحقه على عباده، وبما شرعه لهم سبحانه وتعالى والعلم بالطريق والصراط الموصل إليه، وتفاصيله، والعلم بالغاية والنهاية التي ينتهي إليها العباد في الدار الأخرى[(٤)].

❊ المقصود بالعلم: هو العلم الشرعي الموصل إلى معرفة الله سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته، وأنه الإله الحق الذي لا يستحق أحد أن يعبد سواه، وأنه الرب الخالق

(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٤/ ٧٩).
(٢) ما بين القوسين من «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٦/ ٣٢٥).
(٣) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢/ ٣٠٩).
(٤) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢/ ٣٠٢).

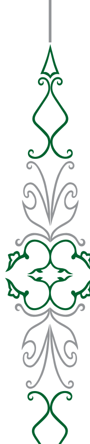
الرازق والمتصرف بهذا الكون والمنعم على جميع العالمين، والموصل أيضًا إلى معرفة رسول الله محمد ﷺ، وأنه الرسول الخاتم المبلغ عن الله شرعه ووحيه، والموصل إلى معرفة هذا الدين الذي جاء به محمد ﷺ عن الله وبلغنا به في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بما يشمل جميع نواحي حياتنا في الاعتقاد والسياسة والاجتماع، وفي القضاء والتشريع والاقتصاد، وجميع ما يحتاجه المسلمون في أمور حياتهم ومعادهم[1].



العلوم الدنيوية

العلوم الأخرى لها شأن آخر - من استخراج المعادن، وشؤون الزراعة والفلاحة وسائر أنواع الصناعات النافعة - وقد يجب منها ما يحتاجه المسلمون، ويكون فرض كفاية، ولولي الأمر فيها أن يأمر بما يحتاجه المسلمون، ويساعد أهلها في ذلك، أي بما يعينهم على نفع المسلمين، والإعداد لعدوهم. وعلى حسب نية العبد تكون أعماله عبادة لله عَزَّ وَجَلَّ، متى صلحت النية، وخلصت لله، وإذا فعلها بدون نية كانت من المباحات[2].





(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٦/ ٢٤٥).

(٢) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢/ ٣١٤).

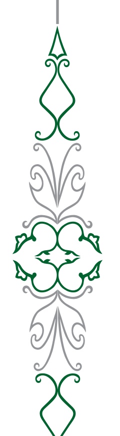
أقسام الناس بالنسبة لما بُعث به محمد ﷺ

* يقول النبي ﷺ: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الهُدَى وَالعِلْمِ، كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ المَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الكَلَأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ». متفق على صحته(١).

وهذا الحديث العظيم يبين لنا أقسام الناس وأنهم ثلاثة:

قسم: تفقهوا في الدين وعلموا وعملوا، فهم مثل الأرض الطيبة التي قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، تعلموا وتفقهوا في الدين وعلموا الناس.

وقسم: تعلموا وتفقهوا ونقلوا العلم إلى الناس، وليس عندهم من التوسع ما عند الأولين في التعليم والتفقيه في الدِّين، بل يغلب عليهم الحفظ ونقل الأخبار والروايات.





(١) البخاري (٧٩)، مسلم (٢٢٨٢).

وقسم ثالث: أعرضوا، فلم يتفقهوا في الدين ولم يحملوه، فمثلهم كمثل القيعان التي لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ.

وهذا الحديث يدل على وجوب التفقه في الدين والتعلم على كل مكلف؛ حتى لا يكون من الطائفة الثالثة[1].

❊ وأغلب الخلق كالقيعان التي لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، لم ينتفعوا بما بعث الله به الرسل. قال تعالى: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [يُوسُف: ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [الأنعَام: ١١٦]، وقال ﷻ: ﴿وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [سَبَإ: ٢٠]. هذه حال أكثر الخلق: أعرضوا عن دين الله وعمَّا جاءت به الرسل، وعن ما خلقوا له، فأشبهوا الأنعام، كما قال تعالى: ﴿أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفُرقان: ٤٤].

فلا يليق بالمؤمن ولا يليق بالعاقل أن يتشبه بالأنعام، بل يتفهم ويتعلم ويتفقه في الدين، حتى يعرف ما أوجب الله عليه، وما حرم الله عليه، ليحذر مشابهة الأنعام[2].



(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢٣/ ٢٤٧).
(٢) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢٣/ ٣١٨).

متى يتأهل طالب العلم؟

لا يكون طالب العلم من أهل العلم إلا بتدبر وتعلم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والأخذ من علماء السنة.

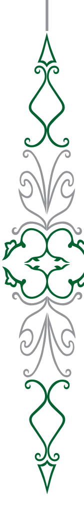
هذا هو طريق العلم: أن يقبل على الطاعات والتدبر والتعقل والاستفادة، ويقرأ قراءة المستفيد الطالب للعلم من أوله إلى آخره، ويتدبر ويتعقل ويطالع ما أشكل عليه في كتب التفسير المعتمدة؛ كتفسير ابن كثير، والبغوي، ونحوهما من التفاسير المعتمدة، ويعتني بكتب الحديث الشريف، ويأخذ العلم عن علماء أهل السنة والجماعة من أهل البصيرة[1].

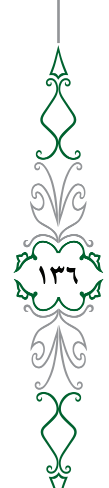


الحد الواجب من العلم

(يلزم المسلم) أن يتعلم ما يجب عليه وما يحرم عليه، والبقية سنة، يلزمه أن يتعلم ما لا يسعه جهله[2].







---

(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٩/ ٢٣٦).

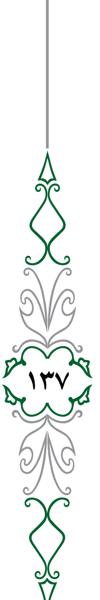
(٢) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢٤/ ٧٣).

﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فَاطِر: ٢٨]

* هذه آية عظيمة تدل على أن العلماء بالله وبدينه وبكتابه العظيم وسنة رسوله الكريم هم أشد الناس خشية لله وأكملهم خوفًا منه سبحانه.

فالمعنى: إنما يخشى الله الخشية الكاملة هم العلماء بالله الذين عرفوا ربهم بأسمائه وصفاته وعظيم حقه، وتبصروا في شريعته، وعرفوا ما عنده من النعيم لمن اتقاه والعذاب لمن خالفه وعصاه، فهم لكمال علمهم بالله هم أشد الناس خشية لله وأكمل الناس خوفًا من الله، وعلى رأسهم الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فهم أكمل الناس خشية لله سبحانه وتعظيمًا له، ثم خلفاؤهم العلماء بالله وبدينه. وهم على مراتب في ذلك متفاوتة.

وليس معنى الآية: أنَّ غيرهم لا يخشى الله، فكل مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة يخشى الله عز وجل، لكن خشية الله فيهم متفاوتة، فكلَّما كان المؤمن أبصر بالله وأعلم به وبدينه كان خوفه لله أكثر، وكلَّما قلَّ العلم وقلَّت البصيرة قلَّ الخوف من الله وقلَّت الخشية منه سبحانه، فالناس متفاوتون في هذا الباب تفاوتًا عظيمًا، حتى العلماء متفاوتون في خشيتهم لله(١).




(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٥/ ٤٨).

❊ فالخشية الكاملة لأهل العلم، وأعلاهم الرسل والأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل من أهل العلم على حسب تقواهم لله، وعلى حسب سعة علمهم وعلى حسب قوة إيمانهم وكمال إيمانهم وتصديقهم[1].

❊ [و] الخشية لله تقتضي الوقوف عند حدود الله والسير على منهج رسول الله ﷺ، فإذا زاد على ذلك صار تنطعًا وغلوًا لا يجوز[2].

❊ وأعظم ما يعين على هذا العلم للوصول إلى خشية الله تعالى هو كتاب الله حفظًا وتلاوة وتدبرًا، فهو الهدى والنور والخير[3].







(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٤/ ٨٢).
(٢) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٤/ ٨٣).
(٣) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢٣/ ٤٤٩).

فضل العلم

* «مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ»[1]، الرُّسل لهم مثل أجور أتباعهم، ونبينا ﷺ له مثل أجور أتباعه، وكل عالم له مثل أجر من هداه الله على يديه[2].

* شرَّف الله أهل هذا العلم، ونوه بهم وعظم شأنهم سبحانه، واستشهدهم على توحيده، والإخلاص له، حيث قال ﷻ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾... [آل عِمرَان: ١٨] وكفى بها شرفًا لأهل العلم[3].





(١) أخرجه مسلم (١٣٣).
(٢) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢٣/ ٢٦٦).
(٣) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢/ ٣٠٣).

طلب العلم مقدم على الجهاد وأفضل من قيام الليل

* طلب العلم من الجهاد، وهو أفضل ومقدم على الجهاد[1].
* طلب العلم أفضل من قيام الليل[2].



طلب العلم من التقوى

الاجتهاد في طلب العلم والتفقه في الدين من جملة التقوى، وبذلك يحصل النور والهدى، وهما الفرقان. فالتقوى كلمة جامعة حقيقتها الإيمان والعمل الصالح[3].







(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢٤/ ٧٤). قال الربيع بن سليمان: قال الشافعي: «ليس بعد أداء الفرائض شيء أفضل من طلب العلم، قيل له: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله ﷻ». «المدخل» للبيهقي (٢/ ٧٢٦).

(٢) «فتاوى نور على الدرب» (١٠/ ١٠٩).

(٣) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢/ ٢٨٥).

التفقه في الدين طاعة

❊ من طاعة الله ورسوله التعلم والتفقه في الدين حتى تعرف حكم الله وشريعته لنفسك وفي نفسك وفي غيرك[(١)].

❊ [فقد] دلت الأدلة الشرعية على وجوب التعلم والتفقه في الدين حتى يعبد المسلم ربه على بصيرة[(٢)].

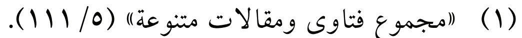
❊ [فـ]ـتعلم الرجال والنساء لما شرعه الله سبحانه وتعالى لهم وخلقوا من أجله من أهم الفرائض، وأوجب الواجبات، ولقد يسر الله للجميع طرق التعلم[(٣)].



غاية العلم العمل

تعلم العلم يكون بمعرفته والعمل به[(٤)].





(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٥/ ١١١).
(٢) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٥/ ١٨٢).
(٣) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٥/ ٣٢٠).
(٤) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢٣/ ٣٠٤).





لا يقوم الإسلام إلا بالعلم

هذا الإسلام الذي رضيه الله لنا ولن يقبل منا سواه هو عبادة الله، وتوحيد الله، وطاعته، واتباع شريعته قولاً وعملاً وعقيدة. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عِمرَان: ١٩]، ولا سبيل إلى هذا العلم ومعرفة هذه العبادة إلا بالله، ثم بالتعلم والتفقه والدراسة، حتى تعلم دين الله الذي خلقت له وهو دين الإسلام وتوحيد الله وطاعته، فيجب التعلم والتفقه والعناية بالقرآن الكريم والسنة حتى تعلم هذه العبادة التي أنت مخلوق لها، وحتى تقوم بذلك وتعمل بذلك عن إخلاص لله ومحبة لله وعن تعظيم لله في جميع الأحوال[1].







(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٩/ ٨٨).

تفاوت العلم بحسب متعلقاته

[العلم] يتفاوت في الفضل بحسب متعلقاته، فأفضله وأعظمه وأشرفه ما يتعلق بالله وأسمائه وصفاته، وهو علم العقيدة، فإن الله جَلَّ وَعَلَا له المثل الأعلى سبحانه وتعالى، وهو الوصف الأعلى من جميع الوجوه في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله.

ثم يلي ذلك ما يتعلق بحقه على عباده، وما شرعه من الأحكام، وما ينتهي إليه العاملون، ثم ما يتبع ذلك مما يعين عليه، ويوصل إليه من علم قواعد العربية، والمصطلحات الإسلامية في أصول الفقه، ومصطلح الحديث، وفي غير ذلك مما يتعلق بذلك العلم ويعين عليه، وعلى فهمه، والكمال فيه، ويلتحق بذلك علم السيرة النبوية، والتاريخ الإسلامي، وتراجم رجال الحديث وأئمة الإسلام، ويلتحق بذلك كل ما له صلة بهذا العلم[1].







(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢/ ٣٠٣).

من أراد اللّه به خيرًا أقبل على الكتاب والسنة

من شأن المؤمن طلب العلم والتفقه في الدين، والتبصر، والعناية بكتاب الله والإقبال عليه وتدبره، والاستفادة منه والعناية بسنة رسول الله ﷺ، والتفقه فيها، والعمل بها وحفظ ما تيسر منها، فمن أعرض عن هذين الأصلين وغفل عنهما فذلك دليل وعلامة على أن الله سبحانه لم يرد به خيرًا[1].



الإخلاص في طلب العلم

من أهم المهمات: الإخلاص في طلب العلم بأن يكون طلبه لله لا لغرض آخر؛ لأن ذلك هو سبيل الانتفاع به[2].







(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٩/ ١٣٠).

(٢) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٦/ ٢٤٠).

رأس العلم: الخشية والمراقبة

* رأس العلم خشية الله سبحانه وتعالى، وتعظيم حرماته، ومراقبته عَزَّ وَجَلَّ فيما يأتي العبد ويذر، فَمَن فقد خشية الله ومراقبته فلا قيمة لعلمه[1].

* فأهل العلم والإيمان يخشون ربهم الخشية التي تثمر المتابعة، وتؤدي إلى الحق، وترك الباطل[2].

* فالجدير بالعالم... أن يخشى الله، وأن يراقبه في كل أموره، في طلبه للعلم، وفي عمله بالعلم، وفي نشره للعلم، وفي كل ما يلزمه من حق الله، وحق عباده[3].

* [و] أوصي كل طالب علم، وكل مسلم، بخشية الله سبحانه، ومراقبته في جميع الأمور، عملاً بقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾ [المُلك: ١٢]، وقوله سبحانه: ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرَّحمٰن: ٤٦]، قال بعض السلف: «رأس العلم خشية الله»، وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كفى بخشية الله علمًا، وكفى بالاغترار به جهلاً»، وقال بعض السلف: «من كان بالله أعرف كان منه أخوف»، ويدل على صحة



---

(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (١٠/ ٦).
(٢) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٤/ ٨٥).
(٣) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٧/ ٢٠٢).

هذا المعنى قول النبي ﷺ لأصحابه: «**أَمَا وَاللهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ للهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ**»[1]، **فكلَّما قوي علم العبد بالله كان ذلك سببًا لكمال تقواه وإخلاصه ووقوفه عند الحدود وحذره من المعاصي**[2].





(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١).

(٢) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢/ ٣٢٣).

الحاجة للعلم

* كل إنسان محتاج إلى طلب العلم والتفقه في الدين؛ ليعلم ويتعلم[1].

* [فـ]ـالتفقه في الدين وتعلم العلم الشرعي من أهم الواجبات، ومن أهم الفروض لعبادة الله جَلَّ وَعَلَا خلق الخلق ليعبدوه وأرسل الرسل لذلك وأمر العباد بذلك ولا سبيل لمعرفة هذه العبادة ولا الطريق إليها إلا بالعلم... يجب أن يتعلم ويتفقه في الدين ويتبصر حتى يؤدي الواجب كيف يصلي، كيف يصوم، كيف يبيع، كيف يشتري، وهكذا يعرف المحرمات التي حرمها الله حتى يحذرها... والشرك معلوم أنه من أعظم الذنوب، ولكن يتعلم ما هو الشرك وما هي تفاصيله كذلك يحذر الزنا وأسبابه، ويحذر المسكرات واجتناب أهلها، يحذر الربا وأنواعه ويتبصر فيه ويحذر الغيبة والنميمة، ويتعلم ماهية كل منهما حتى يدع ما حرم الله[2].





(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٦/ ٥٦).
(٢) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢٣/ ٣٣٧).

العلم سبيل الاستعداد لليوم الآخر

❊ يا عبدَ الله: أمامك أمر عظيم، أمامك اليوم الآخر، أمامك الجزاء والحساب والجنة والنار، وأنت مخلوق في هذه الدار؛ لتُعدَّ العدَّة للانتقال إلى دار النعيم، فعليك أن تُعدَّ العدة لذلك، واحذر أن تعد العدة لدار الهوان، للجحيم... فالواجب الإعداد لهذا اليوم، والإعداد هو: تقوى الله وطاعة الله ورسوله وتوحيد الله والإيمان به واتباع الرسول عليه الصلاة والسلام(١).

❊ [فـ]ـالواجب على الرجال والنساء من المسلمين: التفقه في الدِّين والتبصر، والسؤال عما أشكل عليهم، وعدم السكوت على الجهل، وعدم الإعراض، وعدم الغفلة؛ لأنهم خُلقوا ليعبدوا الله ويطيعوه سبحانه وتعالى، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالعلم(٢).





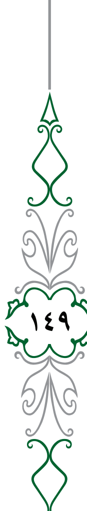
(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢٣/ ٣٢٨)

(٢) «فتاوى نور على الدرب» (١/ ٢٤٥).

إخلاص وصدق

* الواجب على طالب العلم أن يكون له موقف مع ربه، موقف يَرضَاه مولاه، موقف يشتمل على الإخلاص لله، والصدق في طلب رضاه، والحرص الذي لا حدود له، في معرفة الأدلة الشرعية، والتفتيش عنها حتى يقف على الدليل، وبذلك تنفسح أمامه الدنيا، ويفتي على بصيرة، ويدعو إلى الله على بصيرة، ويُعلِّم الناس على بصيرة، ويأمر بالمعروف على بصيرة، وينهى عن المنكر على بصيرة، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يُوسُف: ١٠٨] وقد فُسِّرت البصيرة بالعلم[(١)].

* [فعلى طالب العلم]: الإخلاص لله سبحانه، ومراقبته وأن يكون هدفه إرضاءه عَزَّ وَجَلَّ، وأداء الواجب وبراءة الذمة، ونفع الناس، فلا يهدف إلى مال وعرض عاجل، فذلك شأن المنافقين وأشباههم من أهل الدنيا، ولا يهدف للرياء والسمعة، ولكن هدفه أن ينفع عباد الله، وأن يرضي ربه قبل ذلك، وأن يكون على بينة فيما يقول، وفيما يفتي به، وفيما يعمل به، ولا يجوز له التساهل، لأن طالب العلم متبع متأسى بتصرفاته وأعماله[(٢)].



(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢٣/ ٣٤٥). **وينظر**: «فتح القدير» (٣/ ٧١).

(٢) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٧/ ٢١٥).

بمقدار الصدق الإخلاص يكون النفع

النفع الحقيقي من طالب العلم يترتَّب على صدقه وإخلاصه، وعلى كثرة علمه، وتمكُّن فقهه، وعلى صبره ومصابرته[1].



التضرع إلى الله ﷻ

فاضرع إلى الله دائمًا، وأسأله أن يهديك إلى صراطه المستقيم، وأن يعينك على ذكره وشكره وحسن عبادته، وأن يمنحك التوفيق لكلِّ ما يرضيه، وأن يعيذك من شرِّ نفسك وهواك وشيطانك، هو الذي يَهدي من يشاء، بيده الهداية، بيده التوفيق، فاضرع إليه دائمًا واسأله دائمًا في جميع الأوقات، وفي سجودك، وفي آخر الصلاة، وفي جوف الليل، وفي آخر الليل.... اسأله التوفيق والهداية، واسأله أن يعلمك ما ينفعك وأن يعيذك من شرِّ شيطانك ونفسك الأمَّارة بالسوء، وأن يثبتك على الحق والإيمان... فأنت مأمور بالدعاء وموعود بالإجابة، فأحسن ظنك بربك[2].





---

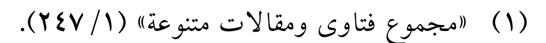
(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٧/ ٢١٦).

(٢) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢٣/ ٣٣٢).

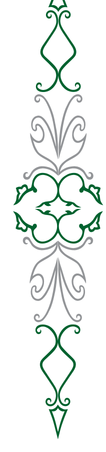
تعظيم أمر الله

يجب على طالب العلم أن يعظم أمر الله ونهيه، وأن يستقرَّ خوف الله في قلبه، فوق جميع الأشياء، وألا يبالي بما يرجف به المرجفون ضدَّ الحق وأهله؛ ثقةً بالله، وتصديقًا لما وعد رسوله محمدًا ﷺ وكافة الرسل[1].





(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (١/ ٢٤٧).





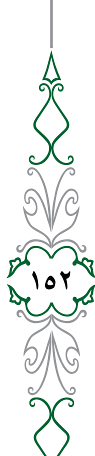
منبع العلم الشرعي

* منبعا العلم القرآن العظيم والسنة المطهرة هما السبيلان لمنهج الحق واتباعه، ثم إجماع سلف الأمة الذي استند إلى هذين الأصلين، هو الأصل الثالث في معرفة الحق واتباعه[١].

* [من أسباب تحصيل العلم]: العناية بالمتون وأعظمها القرآن الكريم، والحرص على حفظه وتدبر معانيه، والإكثار من تلاوته، وهو كتاب الله، وهو حبل الله المتين، وهو الأصل الأصيل، هو أعظم أصل وأعظم كتاب وأشرف كتاب، فالعناية به تكون أهم عناية، تدبرًا وتعقلاً وعملاً، ثم العناية بالسنة وحفظ ما تيسر منها[٢].

* الله سبحانه خلق الثقلين لعبادته ولا يمكن أن تعرف هذه العبادة إلا بمعرفة الفقه الإسلامي وأدلته، وأحكام الإسلام وأدلته، ولا يكون ذلك إلا بمعرفة العلماء الذين يعتمد عليهم في هذا الباب من أئمة الحديث والفقه الإسلامي[٣].





(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢٣/ ٢٤٩).
(٢) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢٣/ ٢٦٣).
(٣) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٩/ ١٢٨).

※ من أسباب السعادة للعبد، ومن علامات النجاة والفوز أن يفقه في دين الله، وأن يكون فقيهًا في الإسلام، بصيرًا بدين الله على ما جاء في كتاب الله الكريم وسنة رسوله الأمين عليه الصلاة والسلام[1].

※ خير ما بذلت فيه الأعمار والأوقات والأموال هو: العلم بكتاب الله وسنة رسوله؛ إذ عليهما مدار السعادة والنجاة في الدنيا والآخرة[2].





(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (١٠/ ٥).

(٢) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢٤/ ٧).

الأنبياء ثم العلماء أحسن قولاً

* يقول ﷻ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فُصّلَت: ٣٣]، فليس في الوجود من هو أحسن قولاً من هؤلاء، وعلى رأسهم الرسل الكرام والأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، ثم يليهم أهل العلم(١).

* [فـ]ـالرسل والأنبياء هم رأس العلماء، وهم قدوة العلماء، وهم الأئمة ومَن بعدهم خلفاء لهم، ورثوا علمهم ودعوا إلى ما دعوا إليه(٢).





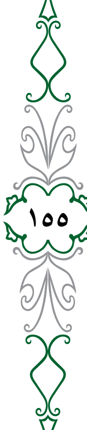
(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٧/ ٢١٧).

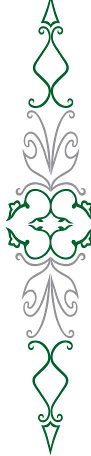
(٢) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٤/ ٨٢).

على رأس العلماء بعد الرسل: الصحابة الكرام

على رأس العلماء بعد الرسل: أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام، فإنهم هم الفقهاء على الكمال الذين تلقوا العلم عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، وتفقهوا في كتاب ربهم، وسنة نبيهم عليه الصلاة والسلام، ونقلوا ذلك إلى من بعدهم غضًا طريًا، تفقهوا وعملوا، ونقلوا العلم إلى من بعدهم من التابعين، نقلوا كتاب الله إلى من بعدهم لفظًا وتفسيرًا، وقراءة، إلى غير ذلك، ونقلوا إلى من بعدهم أيضًا ما بينه لهم نبيهم عليه الصلاة والسلام من معنى كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، ونقلوا أيضا لمن بعدهم أحاديث الرسول ﷺ التي سمعوها منه، والتي رأوها منه عليه الصلاة والسلام والتي أقرهم عليها، نقلوها إلى من بعدهم بغاية الأمانة والصدق[1].







(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٨/١٠).

العلماء هم خلفاء الرسل

❊ لا يخفى على كل ذي مسكة من عِلم أنَّ العلماء هم خلفاء الأنبياء؛ لأن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا وإنما ورثوا العلم[1].

❊ [فـ]ـالعلماء هم خلفاء الرسل، وهم ورثتهم، ولا يخفى مرتبة الرسل، وأنهم هم القادة، وهم الهداة للأمة، وهم أسباب سعادتها ونجاتها، فالعلماء حلوا محلهم، ونزلوا منزلتهم في البلاغ والتعليم؛ لأنهم ختموا بمحمد عليه الصلاة والسلام، فلم يبق إلا البيان والتبليغ لشريعة محمد ﷺ، والدعوة إليها وبيانها ونشرها بين الناس، وليس لذلك أهل إلا أهل العلم، هم الذين أهلهم الله لهذا الأمر دعاة وقادة بأقوالهم وأفعالهم وسيرتهم الظاهرة والباطنة[2].





(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٤/ ٧٩).
(٢) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٧/ ٢١٦).

من هم العلماء الربانيون؟

العلماء هم: العارفون بالله وبأسمائه وبصفاته، وبشريعته التي بعث بها رسله، ولهذا قال نبينا محمد عليه الصلاة والسلام لما قال له بعض الناس مستثقلاً العلم الذي أرشده إليه: لسنا مثلك يا رسول الله! قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال: «**أَمَا وَاللهِ إِنِّيْ لأَخْشَاكُمْ للهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ**»(١)، فالعلماء بالله وبدينه وبأسمائه وصفاته هم أخشى الناس لله، وأقوى الناس في الحقِّ على حسب علمهم به، وعلى حسب درجاتهم في ذلك(٢).

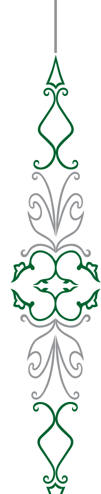


بمَ يُعرف العالم؟

العالم يعرف: بصبره وتقواه لله، وخشيته له سبحانه وتعالى، ومسارعته إلى ما أوجب الله ورسوله، وابتعاده عما حرم الله ورسوله(٣).







---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢/ ٣٠٥).

(٣) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢٣/ ٣١٠).

العلماء

❊ أهل العلم هم الخلاصة في هذا الوجود، فعليهم من الواجبات والرعاية ما ليس على غيرهم[1].

❊ [وهم] أئمة هذه الأرض ونورها وسرجها، وهم أولى بها من غيرهم، يرشدون الناس إلى طريق السعادة، ويهدونهم إلى أسباب النجاة، ويقودونهم إلى ما فيه رضى الله ﷻ، والوصول إلى كرامته والبعد عن أسباب غضبه وعذابه[2].

❊ [فـ]ـالعلماء قد بين الله شأنهم ورفع قدرهم، وهم أهل العلم بالله وبشريعته، والعاملون بما جاء عن الله وعن نبيه عليه الصلاة والسلام، وهم علماء الهدى، ومصابيح الدجى، وهم العاملون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ[3].







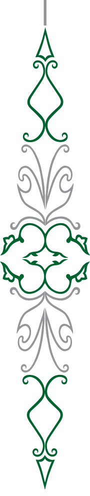
(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢/ ٣١٣).
(٢) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢/ ٣٠٩).
(٣) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (١٠/ ٦).

من هو العالم؟

- ❊ العالم هو الذي يقف عند حدود الله في الإباحة والمنع وفي العمل والترك، لكنه مع ذلك يكون شديد الحذر أن يقول على الله بغير علم أو يعمل بخلاف ما علم[1].
- ❊ أهل العلم والإيمان يخشون ربهم الخشية التي تثمر المتابعة وتؤدي إلى الحق وترك الباطل[2].







(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٤/ ٨٣).

(٢) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٤/ ٨٥).

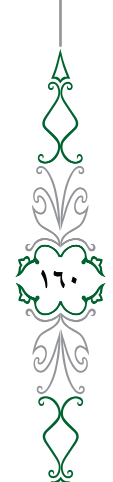
وصايا لأهل العلم

❊ جدير بأهل العلم - وإن تأخر زمانهم كزماننا هذا جدير بهم - أن يسلكوا مسلك أوائلهم الأخيار في خشية الله وتعظيم أمره ونهيه والوقوف عند حدوده، وأن يكونوا أنصارًا للحق، ودعاةً للهدى، لا يخشون في الحقِّ لومة لائم، وبذلك ينفع علمهم، وتبرأ ذمتهم وينتفع الناس بهم(١).

❊ [و] أن يعلِّموا ويبينوا، وأن يصبروا، عليهم أن يُفقِّهوا الناس، وأن يعلِّموا الناس، وأن يبينوا ما عندهم من العلم(٢).

❊ [و] أن يعنوا بكتاب الله وأن يقبلوا عليه حتى يأخذوا منه الأخلاق التي يحبها الله ﷻ، وحتى يستقيموا عليها، وحتى تكون لهم خلقًا ومنهجًا يسيرون عليه أينما كانوا(٣).

❊ [وأن] يصبروا على الشدائد في أداء طاعة الله وفي ترك معاصي الله، وبتبليغ رسالة الله(٤).

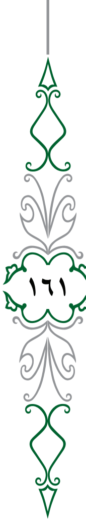
(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٤/ ٨٢).
(٢) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢٣/ ٢٥١).
(٣) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٤/ ٧٩).
(٤) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٤/ ٨٦).

❊ [وأن] يدرؤوا بالحسنات السيئات لكمال صبرهم وتحملهم وكظمهم الغيظ[1].

❊ وأن يكون الهدف دائمًا العلم بما قال الله، وقال رسوله، والعمل بذلك، وتوجيه الناس وإرشادهم إلى ذلك، ولا يجوز التفرق والاختلاف ولا الدعوة إلى حزب فلان وحزب فلان، ورأي فلان، وقول علان[2].

❊ فمن أخلاق [العلماء]: الدعوة إلى الله على بصيرة مع العمل وبيان الحق بأدلته الشرعية قولاً وعملاً وعقيدة، فهم دعاة الخلق وهداتهم على ضوء كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، لا يشترون بآيات الله ثمنًا قليلاً، بل يبلِّغون الناس دين الله، ويرشدونهم إلى الحق الذي بعث الله به نبيه عليه الصلاة والسلام، ويصبرون على الأذى في جميع الأحوال[3].





(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٥/ ١٠٦).
(٢) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢٣/ ٣٠٦).
(٣) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٤/ ٨١).

الواجب على أهل العلم

* كانت دعوته [ﷺ] كاملة في القول والعمل، فسيرته أحسن السير، وكلامه أطيب الكلام بعد كلام الله ﷻ، وأخلاقه أحسن الأخلاق، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القَلَم: ٤]، وكان خلقه القرآن كما قالت عائشة رضي الله عنها[(١)]؛ يأتمر بأوامره، وينتهي عن نواهيه، ويتأدب بآدابه، ويعتبر بما فيه من الأمثال والقصص العظيمة، ويدعو الناس إلى ذلك.

وأهل العلم عليهم أن يتأسوا به عليه الصلاة والسلام في هذا الخلق العظيم، وأن يَصْدُقوا الله في أقوالهم وأعمالهم، وأن يبلِّغوا عن الله أمره ونهيه، وأن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر حسب الطاقة، وأن يبذلوا المستطاع والنصائح لولاة الأمور بالتوجيه والإرشاد والتنبيه، ولأهليهم ولجيرانهم ولسائر مجتمعهم وللناس جميعًا بكل وسيلة حسب الطاقة، [فـ]ـلا يجوز التساهل في هذه الأمور، ولا سيما في عصرنا هذا لقلَّة العلماء وانتشار الشرور وكثرة الرذائل والمنكرات في أرجاء الدنيا في الدول الإسلامية وغيرها. وكل ذي بصيرة يعلم





(١) أخرجه أحمد (٢٤٦٠١)، وأخرجه مسلم (٧٤٦) عنها رضي الله عنها بلفظ: «فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن».

ما ينشر في هذا العصر من الشرور العظيمة[١].

❊ فالواجب على العلماء أن يتقوا الله، وأن يوضحوا للناس دينهم، وأن يعلِّموا ما شرعه الله لهم، وان يحذِّروهم ما نهى الله عنه[٢].

❊ وأن ينشروا العلم بين الناس، وأن يجتهدوا في إيضاح الأحكام بالدليل، قال الله وقال رسوله، وأن يحذروا القول على الله بغير علم، وأن يحذروا التساهل في ذلك والتكاسل، بل يجب الصدع للحق، ونصر الحق بالأساليب الحسنة، والكلمات الواضحة التي يفهمها المخاطبون[٣].

❊ [والعالم] وَاجِبه أن يكون قدوة في الخير، وأن يكون أسوة في الصالحات، يعمل بعلمه ويتق الله أين ما كان[٤].





(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٧/ ٢٢٢).
(٢) «حديث الصباح» (ص٢٦٢).
(٣) «فتاوى نور على الدرب» (١٨/ ٣٨٣).
(٤) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢٣/ ٣١٠).

الصدع بالحق من صفات أهل العلم

أهلُ العلم والإيمان من الأولين والآخرين أهلُ الخوف من الله، فإنهم ينطقون بالحق ويصرحون به ولا يشترون بآيات الله ثمنًا قليلاً، بل أن من أعمالهم العظيمة بيان الحق والدلالة عليه والدعوة إليه والتحذير من الباطل والترهيب منه يرجون ثواب الله ويخشون عقابه سبحانه وتعالى[١].



انتشار الباطل موجب للعمل

انتشار الباطل وكثرة الدعاة إليه يوجب على أهل العلم العناية بواجبهم، والاجتهاد في تبليغ رسالة ربهم أينما كانوا... وأن يبذلوا ما استطاعوا في هذا السبيل، وأن يبلِّغوا الناس دعوة ربهم، ويعلموهم دينهم حسب الطاقة والإمكان[٢].







(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٤/ ٨٤).

(٢) «حديث الصباح» (ص٢٥٣).

من كان بالله أعلم كان إلى سمت الرسل أقرب

كل من كان أعلم بالله وبأسمائه وصفاته، وأكمل في العمل والدعوة كان أقرب الناس من الرسل، ومن درجاتهم ومنازلهم في الجنة[1].



الحذر من مشابهة الغاوين

اليهود عندهم كتاب الله والنصارى عندهم كتاب الله، وعلماء السوء من هذه الأمة عندهم كتاب الله، فماذا صار هؤلاء؟ صاروا من أشر الناس لما خالفوا كتاب الله، وغضب الله عليه.

وهكذا أتباعهم مِن كل مَن خالف كتاب الله على علم، وسار على نهج الغاوين من اليهود والنصارى وغيرهم، حكمه حكمهم[2].





(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢/ ٣٠٩).

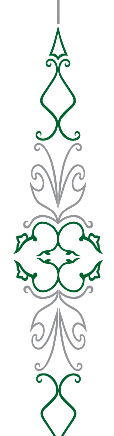
(٢) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢٣/ ٢٧٢).

ارتباط طالب العلم بالعلماء

❊ ينبغي لطالب العلم الاتصال بالعلماء المعروفين بحسن العقيدة والسيرة، يسألهم عما أشكل عليه؛ لأنه إذا كان لا يسأل أهل العلم قد يغلط كثيرًا، وتلتبس عليه الأمور(١).

❊ [ولذا فـ] ـمن لم يدرس على أهل العلم، ولم يأخذ عنهم، ولا عرف الطرق التي سلكوها في طلب العلم، فإنه يخطئ كثيرًا، ويلتبس عليه الحق بالباطل، لعدم معرفته بالأدلة الشرعية، والأحوال المرعية التي درج عليها أهل العلم، وحققوها وعملوا بها... ولم يعرف الأصول التي ساروا عليها فهو يخطئ كثيرًا، ولا يميز بين الخطأ والصواب في الكتب المخطوطة والمطبوعة.

وقد يقع الخطأ في الكتاب ولكن ليست عنده الدراية والتمييز فيظنه صوابًا، فيفتي بتحليل ما حرم الله، أو تحريم ما أحل الله، لعدم بصيرته؛ لأنه قد وقع له خطأ في كتاب، مثلاً: لا يجوز كذا وكذا، بينما الصواب أنه يجوز كذا وكذا، فجاءت لا زائدة أو عكسه: يجوز كذا وكذا والصواب: ولا يجوز، فسقطت في الطبع أو الخط. فهذا خطأ عظيم.




(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٦/ ٣٣٩).

وكذلك قد يجد عبارة: ويصح كذا وكذا، والصواب: ولا يصح كذا وكذا، فيختلط الأمر عليه لعدم بصيرته، ولعدم علمه، فلا يعرف الخطأ الذي وقع في الكتاب، وما أشبه ذلك[1].



دعاء العالم للطالب من النصح له

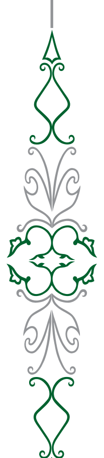
من النصح أن يدعو [الشيخ] للطالب بالتوفيق، ولا شك إن الطالب إذا قبل الله هذا الدعاء في حقِّه سَعِد[2].



(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٧/ ٢٣٩).

(٢) «شرح القواعد الأربع» (ص٩). ومن طريف ما وقفت عليه من عناية الشيخ بتلميذه ما حكاه السخاوي رَحِمَهُ اللهُ في «الضوء اللامع» في ترجمة الحافظ عبد الرحيم العراقي وعلاقته بتلميذه الهيثمي؛ حيث قال: «وهو الذي درَّبه وعلَّمه كيفية التخريج والتصنيف، بل كان هو الذي يعمل له خطب كتبه، ويسميها له». (٤/ ١٧٥)، وقد كان الهيثمي زوجًا لابنة العراقي رَحِمَهُمَا اللهُ جميعًا.



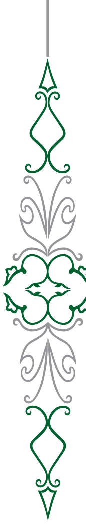


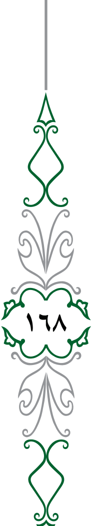
لا يُنال العلم براحة الجسم

❊ العلم لا ينال براحة الجسم، بل لا بد من الجد والصبر والتعب، وهذا الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه في أبواب المواقيت من كتاب الصلاة لما ساق عدةَ أسانيد؛ ذكر فيها عن يحيى بن أبي كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: «لا ينال العلم براحة الجسم»، ومقصوده رَحِمَهُ ٱللَّهُ من هذا: التنبيه على أن تحصيل العلم والتفقه في الدِّين يحتاج إلى صبر ومثابرة، وعناية وحفظ للوقت، مع الإخلاص لله، وإرادة وجهه سبحانه وتعالى[(١)].

❊ [فـ]ـلا بد أن يعلم طالب العلم أنه لا بد من الصبر وأن الأعمال العظيمة والخير الكثير، لا يحصل بمجرد الدعوى والرغبة والتمني من دون عمل وصبر[(٢)].







(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٧/ ٢٠٣).
(٢) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٤/ ٨٨).

من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا

❊ كل طريق يسلكه [طالب العلم] في طلب العلم فهو طريق إلى الجنة، ويعمُّ ذلك جميع الطرق الحسية والمعنوية: فسفره من بلاد إلى بلاد أخرى، وانتقاله له من حلقة إلى حلقة، ومن مسجد إلى مسجد بقصد طلب العلم، فهذا كله من الطُّرق لتحصيل العلم، وهكذا المذاكرة في كتب العلم والمطالعة والكتابة، كلها من الطرق أيضًا[1].

❊ [وكذلك] إذا سأل أهل العلم، أو سافر إليهم في بلادهم، أو زارهم في بيوتهم وفي المساجد فقد سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا،... كما أن الرحلة والانتقال من بلد إلى بلد، ومن مسجد إلى مسجد، ومن حلقة إلى حلقة، ومن بيت عالم إلى بيت عالم لطلب العلم وللتفقه في الدين؛ كل ذلك أنواع وطرق من طرق تحصيل العلم وهي داخلة في قوله ﷺ: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيْقًا يَلْتَمِسُ فِيْهِ عِلْمًا**»[2].





(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢٣/ ٣٠٢)

(٢) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (١٠/ ٢).

❊ [فطالب العلم] حيثما تصرف [فهو] على خير عظيم بهذه النية الصالحة، حتى نومه من طرق الجنة، إذا نام: ليتقوى على طلب العلم، وأداء الدرس كما ينبغي؛ ليتقوى على حفظ كتابٍ في العلم، ليتقوى على السفر في طلب العلم، فنومه عبادة، وسفره عبادة، وتصرفاته الأخرى بهذه النية عبادة[1].



(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢/ ٣٠٧).

الوصية بكتاب الله

* القرآن هو أصل كل خير، وهو أصدق كتاب وأعظم كتاب، وأشرف كتاب، فالواجب التفقه فيه والتدبر والتعلم[1].

* فوصيتي: العناية بهذا الكتاب العظيم، تدبرًا وتعقّلاً، وإكثارًا من تلاوته، وعملاً بالمعنى. فهو أنزل ليُعْمل به، لا لمجرد التلاوة[2].

* [فـ]ـأنت يا عبد الله مأمور بتدبر القرآن، والتفقُّه في القرآن، والتعلُّم حتى تعرف ما أوجب الله عليك، وما حرَّم الله عليك، وأنت أيضًا مأمور باتباع السنة وتعظيمها، والتفقه فيها، وهي أحاديث الرسول ﷺ، ما ثبت عنه ﷺ من أقواله وأفعاله وتقريراته[3].





(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢٣/ ٣٢٠).
(٢) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢٣/ ٢٩٧).
(٣) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢٣/ ٣٢١).

مسؤولية طالب العلم

مسؤولية طالب العلم مسؤولية كبيرة، وهي متفاوتة على حسب ما عنده من العلم، وعلى حسب حاجة الناس إليه، وعلى حسب قدرته وطاقته[1].



يا طالب العلم

عليك يا عبد الله، أيها الطالب للعلم: بإخلاص العبادة والنية لله وحده، وعليك بالجد والنشاط في سلوك طرق العلم والصبر عليها، ثم العمل بمقتضى العلم، فإن المقصود هو العمل، وليس المقصود هو أن تكون عالمًا، أو تعطى شهادة راقية في العلم، فإن المقصود من وراء ذلك كله هو أن تعمل بعلمك، وأن توجِّه الناس إلى الخير، وأن تكون من خلفاء الرسل عليهم الصلاة والسلام في الدعوة إلى الحق[2].





(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٧/ ٢١٤).
(٢) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢/ ٣٠٨).

طالب العلم وحفظ الوقت

[على طالب العلم] أن يسأل ربه التوفيق والإعانة، ولا يضعف ولا يكسل، ويحفظ وقته ويجعله أجزاء: جزء من يومه وليلته لتلاوة القرآن الكريم وتدبره، وجزء لطلب العلم والتفقه في الدين وحفظ المتون ومراجعة ما أشكل عليه، وجزء لحاجته مع أهله، وجزء لصلاته وعبادته، وأنواع الذكر والدعاء[1].



الأسباب المعينة على الحفظ

أعظم الأسباب [التي تساعد على الحفظ ورسوخ المسائل في الذهن]، أن تتقي ربك بطاعته وترك معصيته، والإخلاص له وسؤاله التوبة والعون والتوفيق، ثم العناية بالدروس والمذاكرة وحفظ الوقت، فإنه من أعظم الأسباب[2].





(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٥/ ٧٠).

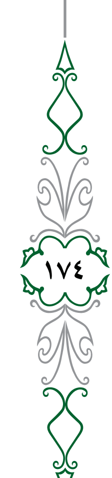
(٢) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢٣/ ٢٦٩).

طالب العلم والعمل

* العمل هو ثمرة العلم[1].
* [فعلى طالب العلم] أن يتقي الله في نفسه، فكلما علم شيئًا بادر بالعمل[2]، لا يتساهل: يعلَم ويعمَل. لا بد من العلم، ولا بد من العمل، فهو يحاسب نفسه أبدًا، ويجتهد في تطبيق أحكام الله على نفسه، الواجب واجب، والمستحب مستحب، حتى يمثِّل العلم في أخلاقه وأعماله وسيرته، وحلقات علمه وخطبه وأسفاره وإقامته في البر والبحر والجو، بل في كل مكان؛ لأن هذا الأمر يهمه ويحرص على أن يأخذ عنه إخوانه وزملاؤه وطلبته، ليعطيهم مما لديه من العلم: من قول وعمل[3].







(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٨/ ٥٥).
(٢) قال عمرو بن قيس الملائي رحمه الله: «إذا بلغك شيء من الخير فاعمل به ولو مرة تكن من أهله». «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١/ ١٤٤).
(٣) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢٣/ ٣٥١).

طالب العلم والتقليد

❊ التقليد كل يستطيعه، وليس من العلم في شيء[(١)].

❊ (فعلى طالب العلم) أن يُعنى بالدليل، وأن يجتهد في معرفة براهين المسائل، وبراهين الأحكام من الكتاب العزيز والسنة المطهرة، ومن القواعد المعتبرة، وأن يكون على بينة كبيرة، وعلى صلة وثيقة بكلام العلماء، فإن معرفته بكلام أهل العلم تعينه على فهم الأدلة، وتعينه على استخراج الأحكام، وتعينه على التمييز بين الراجح والمرجوح[(٢)].

❊ [وعليه] أن يتحرى الحق بدليله، ويجتهد في ذلك، ويسأل ربه التوفيق والإعانة، ويخلص النية. فإن أخطأ مع ذلك فله أجر واحد، وإن أصاب فله أجران[(٣)].

❊ طالب العلم بحاجة شديدة إلى أن يكون لديه رصيد عظيم من الأدلة الشرعية، والمعرفة بكلام أهل العلم وخلافهم، ومعرفة بالراجح في مسائل الخلاف بالدليل من كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ بدون تقليد[(٤)].



(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٧/ ٢١٤).
(٢) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٧/ ٢١٥).
(٣) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٤/ ٨٣).
(٤) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٧/ ٢١٤).

طالب العلم وحسن الخلق

❊ من أهم المهمات في حق طالب العلم أن يكون حسن الأخلاق طيب السيرة مهتمًا بدينه حريصًا على المحافظة على الصلوات في الجماعة، يحفظ لسانه وجوارحه عن كل ما يخالف شرع الله سبحانه ويحرص على بذل المعروف والخير والكف عن الشر والأذى، هكذا يكون طالب العلم الصادق وهكذا يكون الشاب النجيب يتحرى الأخلاق الفاضلة والسيرة الحميدة ويتباعد عن الأخلاق الذميمة والسيرة السيئة أينما كان؛ في البيت وفي الطريق ومع زملائه وفي كل حال[(١)].

❊ [و] أن يتقي الله، وأن لا يتكلم إلا عن علم وعن بصيرة، وبالأسلوب الحسن والعبارات الحسنة، لا بالفحش والشدة، ولكن بالعبارات الحسنة التي يرجى من ورائها أن ينتفع المدعو ويستفيد[(٢)].







(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٥/ ٢٤٣).

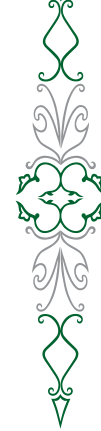
(٢) «فتاوى نور على الدرب» (١٨/ ٢٨١).

طالب العلم قدوة لغيره

طالب العلم قدوة لغيره فيما يأتي ويذر في جميع الأحوال في حال القضاء وغير القضاء، في طريقه وفي بيته، وفي اجتماعه بالناس وفي سيارته، وفي طائرته وفي جميع الأحوال. فهو قدوة في الخير، عليه أن يراقب الله ويعمل بما علمه سبحانه، ويدعو الناس إلى الخير بقوله وعمله جميعًا، حتى يتميز بين الناس ويعرف بعلمه وفضله، وهديه الصالح، وسيره على المنهج النبوي الذي سار عليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحابته الكرام، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، مع العناية بالتواضع، وعدم التكبر[1].







(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٧/ ٢٠٧).

طالب العلم على خير عظيم إذا

طلاب العلم على خير عظيم، وهم على طريق نجاة وسعادة لمن أصلح الله نيته في طلب العلم وابتغى به وجه الله ﷻ، وقصد العلم لنفس العلم، وللعمل، لا لأجل الرياء والسمعة، أو لأجل مقاصد أخرى، من المقاصد العاجلة[1].



صلاح النية

(صلاح النية في العلم) قصد العلم لنفس العلم، وللعمل، لا لأجل الرياء والسمعة، أو لأجل مقاصد أخرى، من المقاصد العاجلة[2].





(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢/ ٣٠٦).

(٢) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢/ ٣٠٦).

الحذر من التساهل في المحرمات

على طالب العلم أن يحذر غاية الحذر من التساهل فيما أوجب الله، أو الوقوع فيما حرم الله، فإنه يُتأسى به في ذلك، فإذا تَساهل تَساهَل غيره[1].



(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢/ ٣١٢).

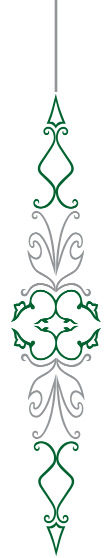


موقف طالب العلم من الخلاف

❋ ما جرى من الاختلاف بين أهل العلم في المذاهب الأربعة وغيرها، فالواجب أن يؤخذ منه ما هو أقرب إلى الصواب، وهو القول الذي هو أقرب إلى ما قاله الله ورسوله نصا أو بمقتضى قواعد الشريعة(١).

❋ [و] أهل العلم كلٌّ له بعض الأخطاء وبعض الأغلاط على حسب بصيرته في كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، وعلى حسب ما بلغهم من العلم، فقد يبلغ العالم أكثر مما يبلغ العالم الآخر من الأدلة الحديثية، وقد يفهم من الكتاب العزيز ومن السنة ما لا يفهمه الآخر، فلهذا تفاوتوا، وتفاوتت مراتبهم في العلم، لذلك هم طبقات مختلفون في العلم والفضل(٢).

❋ وكل إمام يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله عليه الصلاة والسلام، فإن قوله هو الحق كما قال مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما منا إلا راد ومردود عليه إلا صاحب هذا القبر»، يعني الرسول عليه الصلاة والسلام، وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أجمع الناس على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لأحد من

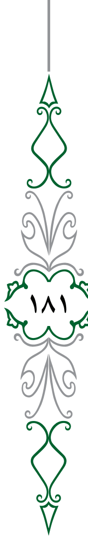



(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢/ ٣١٠).

(٢) «التعليق على العقيدة الحموية» (ص٥).

الناس»، حكاه إجماعًا لأهل العلم، وهذا صحيح، فإن الواجب على الأمة كلها تقديم ما قاله الله ورسوله في مسائل النزاع وفي مسائل الإجماع، فكما أنَّ مسائل الإجماع يجب أن تحترم وأن يؤخذ بها، وألا يلتفت إلى من خالفها؛ فهكذا من باب أولى الكتاب والسنة يجب تعظيمهما والأخذ بهما، وترك ما خالفهما من أقوال الناس[1].





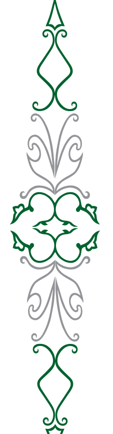
(١) «فتاوى نور على الدرب» (١٤/ ٢٠٩).

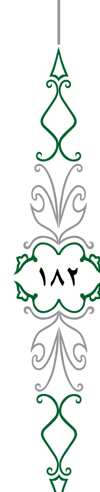
من دعاء إلى اللّه على جهالة فهو مجرم

* من دعا على جهالة فليس على خلق النبي ﷺ، وليس على خلق أهل العلم بل هو مجرم(١).

* وأخبر سبحانه أن الشيطان يأمر بذلك، فقال عن الشيطان: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٦٩]، فالشيطان يدعو الناس إلى كلام بغير علم، والدعوة بالجهل، وهذا منكر عظيم، فالداعي إلى الله يجب أن يتثبت، ويجب أن يتعلم، حتى يكون على بينة وعلى بصيرة مما يدعو إليه، وفيما ينهى عنه(٢).







(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٤/ ٨١). قال ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا آفة على العلوم وأهلها أضر من الدخلاء فيها وهم من غير أهلها فإنهم يجهلون ويظنون أنهم يعلمون ويفسدون ويقدرون أنهم يصلحون». «مداواة النفوس» (ص٤٥)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمن تكلم بجهل وبما يخالف الأئمة فإنه ينهى عن ذلك ويؤدب على الإصرار كما يفعل بأمثاله من الجهال». «مجموع الفتاوى» (٢٢/ ٢٢٧) .**وينظر**: (٢٢/ ٢٤٠).

(٢) «فتاوى نور على الدرب» (١٨/ ٢٨٠).

القول على الله بغير علم أكبر المحرمات

❊ قال تعالى في كتابه المبين: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣] فجعل سبحانه القول عليه بغير علم في القمة من مراتب المحرمات؛ لأن هذه الآية فيها الترقي من الأدنى إلى ما هو أشد منه، فانتهى إلى الشرك، ثم القول على الله بغير علم، وبهذا يعلم خطر القول على الله بغير علم، وأنه من المنكرات العظيمة والكبائر الخطيرة؛ لما فيه من العواقب السيئة وإضلال الناس، وفي آية أخرى من سورة البقرة بين سبحانه أن القول عليه بغير علم مما يدعو إليه الشيطان ويأمر به، فلا ينبغي لطالب العلم أن يسير في ركاب الشيطان[1].

❊ ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٩]، هذا هو أمر عدو الله، يأمر الناس بأن يقولوا على الله بغير علم، لما يترتب على ذلك من الضلال والإضلال والفساد الكبير[2].




(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٤/ ٨١).

(٢) «فتاوى نور على الدرب» (٥/ ٤٢).

- والإفتاء من غير علم من أعظم الكبائر والذنوب العظيمة، فيجب على المسلم أن يتقي الله، وألا يفتي إلا عن علم وعن بصيرة[1].

- فالواجب على المسلمين عمومًا، وعلى طلبة العلم خصوصًا: الحذر من القول على الله بغير علم، فلا يجوز لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقول: هذا حلال، وهذا حرام، أو هذا جائز، وهذا ممتنع، إلا بحُجَّة يحسن الاعتماد عليها، وإلا فليسعه ما وسع أهل العلم قبله، وهو الإمساك عن الخوض فيما لا يعلم وأن يقول: الله أعلم، أو لا أدري، وما أحسن قول الملائكة عليهم السلام لربهم ﷻ: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البَقَرَة: ٣٢]. وكان أصحاب رسول الله ﷺ و ﭫ إذا سألهم الرسول ﷺ عن شيء لا يعلمونه قالوا: «الله ورسوله أعلم». وما ذاك إلا لكمال علمهم وإيمانهم، وتعظيمهم لله ﷻ، وبعدهم عن التكلف[2].

❖ ❖ ❖



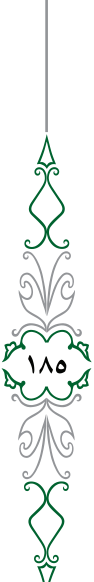

(١) «فتاوى نور على الدرب» (١٣/ ٢٢١).

(٢) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (١/ ٢٥٤).

بعض الكتب النافعة لطالب العلم[1]

❊ **الكتب النافعة كثيرة: أعظمها وأهمها كتاب الله سبحانه وتعالى** فيه الهدى والنور، وفيه الدعوة إلى كل خير، وبيان مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، وبيان ما أوجب الله وما أعد لأهل طاعته من الخير، بيان ما حرم الله وما أعد لأهل معصيته في العقوبة. فأعظم كتاب وأشرف كتاب وأنفع كتاب هو كتاب الله العظيم القرآن[2].

❊ [فـ]ـالوصية لكل مسلم ولكل مسلمة التمسك بكتاب الله، والعناية به، والإكثار من تلاوته، وتدبر معانيه، والحرص على حفظ ما تيسر منه، فهو الكتاب العظيم المنزل الذي نزَّله الله على عباده؛ ليحفظوه ويستقيموا عليه ويعملوا به، وفيه الحق الواضح والهدى المستبين؛ كما قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١-٤٢]، وقال سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾



(١) لم أقصد الاستقصاء، وإنما ذكرتُ بعضها.

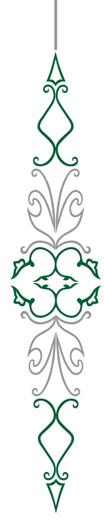
(٢) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٥/ ٤٠٤).

[النّحل: ٨٩]. فالوصية: العناية بهذا الكتاب العظيم، والإكثار من تلاوته، وتدبر معانيه، والمذاكرة فيه(١).

❊ وهو أعظم كتاب وهو أصدق كتاب، وهو فيه بيان العقيدة التي أمر الله بها عباده؛ من التوحيد والأسماء والصفات، وغير ذلك، فعليكم بالإكثار من تلاوة القرآن، والإكثار من تدبره، والسؤال عما أشكل عليك، فهو كتاب الله فيه الهدى والنور(٢).

❊ [فـ]ـ**القرآن العظيم** هو أعظم وأكبر، وهو أفضل كتاب وأعظم كتاب، كتاب الله القرآن، هو كتاب عقيدة، وكتاب فقه، وكتاب أحكام. فنوصي كل مسلم ومسلمة بالعناية بالقرآن، والإكثار من تلاوته، وتدبر معانيه، ففيه العلم العظيم بالعقيدة، والأحكام الشرعية(٣).

❊ [وإني] أنصح كل داعٍ إلى الله، وكل آمر بمعروف وناهٍ عن منكر، وكل معلم ومدرس ومرشد، أنصحه بالعناية بالقرآن، وأن يعتني بقراءته وتدبر معانيه، والإكثار من ذلك، فهذا أصل كل خير، وهو المعلم والهادي إلى الخير، كما قال ﷻ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسرَاء: ٩]، وهو يهدي بهداية الله إلى الطريق الأقوم، وإلى سبيل الرشاد، فأنفع كتاب وأصلح كتاب




---
(١) «فتاوى نور على الدرب» (١/ ٢٦).
(٢) «فتاوى نور على الدرب» (١/ ٣٢).
(٣) «فتاوى نور على الدرب» (١/ ٣١).

وأشرف كتاب، وأغلى كتاب هو كتاب الله، فالواجب على الدعاة وعلى الآمرين بالمعروف، والناهين عن المنكر والمعلمين، أن يعتنوا بهذا الكتاب العظيم، وأن يجتهدوا في الإكثار من تلاوته، وتدبر معانيه، فإنهم بذلك يستفيدون الفائدة العظيمة، ويتأهلون بذلك للدعوة والتعليم بتوفيق الله عز وجل(١).

❊ [وأوصي] بكتب التفسير المأمونة؛ مثل: «**تفسير ابن جرير**»، و«**تفسير ابن كثير**»، و«**البغوي**»، و«**ابن سعدي**»، و«**الشنقيطي**» رحمة الله عليهم، وأشباههم من أئمة الهدى؛ لأنهم أوضحوا معاني الآيات، وأوردوا ما جاء فيها من الأحاديث عن رسول الله عليه الصلاة والسلام(٢).

❊ [و] أوصي أهل العلم وطلبته بالعناية بكتب الحديث والإكثار من قراءتها وتدريسها والمذاكرة فيها، وأهمها: «**الصحيحان**»، **ثم بقية الكتب الستة**: «**سنن أبي داود**»، و«**الترمذي**»، و«**النسائي**»، و«**ابن ماجه**»، مع «**موطأ الإمام مالك**»، و«**مسند الإمام أحمد**»، و«**سنن الدارمي**»، و«**صحيح ابن خزيمة**»، و«**صحيح ابن حبان**»، و«**صحيح الحاكم**»، و«**الطبراني**»، وغيرها من



(١) «فتاوى نور على الدرب» (١٨/ ٢٨٣).

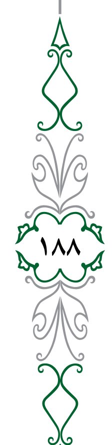
(٢) «فتاوى نور على الدرب» (١/ ٢٦).

كتب الحديث المعروفة، ضاعف الله الأجر لمؤلفيها، وجزاهم عن المسلمين خير الجزاء[1].

❊ «**صحيح البخاري**»، و«**صحيح مسلم**» هما أعظم الكتب المفيدة من كتب الحديث بعد القرآن؛ لأن فيهما أحاديث الرسول ﷺ الصحيحة، فقد تلقتهما الأمة بالقبول، وأجمعت على ذلك، فعليك أن تسير على نهج الأخيار من أئمة الحديث وأئمة السنة، فالصحيحان كل أحاديثهما معتمدة، وهي محل اعتماد أهل السنة والجماعة[2].

❊ فينبغي أن تعمر المجالس والحلقات بتلاوة القرآن الكريم وتعليمه، وتفقيه الناس فيه، وبدراسة كتب الحديث الشريف، والعناية بها، وتفقيه الناس فيها، وأن يتولى ذلك أهل العلم والبصيرة، الموثوق بعلمهم ودرايتهم، ونصحهم واستقامتهم[3].

❊ «**رياض الصالحين**»، و«**منتقى الأخبار**» لابن تيمية، و«**بلوغ المرام**» للحافظ ابن حجر كتب جيدة عظيمة في الحديث، و«**عمدة الحديث**» للشيخ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي كتاب عظيم[4].

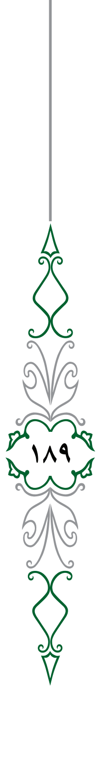



(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٧/ ٢١٠).
(٢) «فتاوى نور على الدرب» (١/ ٢٩).
(٣) «فتاوى نور على الدرب» (٧/ ٧٢).
(٤) «فتاوى نور على الدرب» (١/ ٣١).

* «**الترغيب والترهيب**»، و«**الوابل الصيب**»، و«**الكلم الطيب**»: كتب مفيدة[1].

* «**جامع بيان العلم وفضله**»، و«**التمهيد**» لابن عبد البر، و«**جامع العلوم والحكم**» لابن رجب، هذه الكتب وأشباهها، تفيده فائدة عظيمة[2].

* كتب العقيدة كثيرة، لكن منها ما ألفه السلف الصالح؛ مثل: عثمان بن سعيد الدارمي في «**الرد على الجهمية**»، ومثل كتاب **عبد الله بن أحمد في اعتقاد أهل السنة والرد على البدع**، ومثل كتاب «**التوحيد**» لابن خزيمة في التوحيد والرد على أهل البدع، وأشباهها من الكتب المفيدة؛ مثل «**الطحاوية وشرحها**» (وهي جيدة في نفسها، مفيدة سوى كلمات يسيرة نبَّه عليها الشارح)[3]، ومثل «**لمعة الاعتقاد**» للموفق، و«**العقيدة الواسطية**»، و«**التدمرية**»، و«**الحموية**»؛ **وكتب ابن تيمية كلها**، ولابن القيم: «**اجتماع الجيوش الإسلامية**»، و«**الصواعق المرسلة**»، للرد على أهل البدع، وهكذا «**كتاب التوحيد**»، لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمة الله عليه، كتاب طيب مهم، و«**الثلاثة الأصول**» له رَحِمَهُ اللَّهُ، وهكذا: «**كشف الشبهات**» له أيضًا، رسالة مختصرة

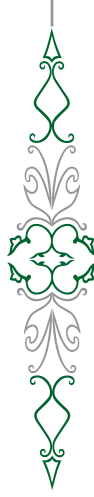
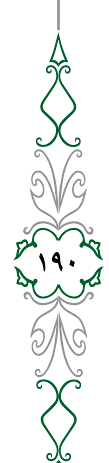


(١) «فتاوى نور على الدرب» (٩/ ٣٥).
(٢) «فتاوى نور على الدرب» (١٨/ ٢٨٤).
(٣) ما بين المعقوفتين من «فتاوى نور على الدرب» (١/ ٢٨).

مفيدة في العقيدة، وهكذا: «**فتح المجيد شرح كتاب التوحيد**» لحفيده الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وهو كتاب مفيد وعظيم، وهكذا شَرح هذا الكتاب الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب فسماه: «**تيسير العزيز الحميد لشرح كتاب التوحيد**»، وهو كتاب مفيد عظيم، و«**كتاب التوحيد**» للشيخ محمد بن عبد الوهاب ﵀ فهو كتاب عظيم مفيد، و«**كشف الشبهات**» في العقيدة كذلك للشيخ محمد بن عبد الوهاب ﵀، و«**ثلاثة الأصول**» كتاب مختصر في العقيدة للشيخ محمد ﵀[(١)]، (ومن أجمع ذلك: «**فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية**»، و«**الدرر السنية في الفتاوى النجدية**» جمع العلامة الشيخ عبد الرحمن بن قاسم ﵀)[(٢)].

❊ كتاب: «**زاد المعاد**» لابن القيم، فيه خير كثير من جهة العقيدة والأحكام[(٣)].

❊ «**الواسطية**»، «**التدمرية**»، «**الحموية**»: كتب ثلاثة عظيمة في عقيدة أهل السنة والجماعة، مفيدة، نوصي بقراءتها والاستفادة منها[(٤)].

(١) «فتاوى نور على الدرب» (١/ ٣٠).
(٢) ما بين القوسين من «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٧/ ٧٣).
(٣) «فتاوى نور على الدرب» (١/ ٢٧).
(٤) «فتاوى نور على الدرب» (١/ ٣٣).

❊ «**العقيدة الواسطية**» لشيخ الإسلام ابن تيمية؛ كتاب مختصر عظيم مفيد على طريقة أهل السنة والجماعة، أوصي بحفظه، وأن يحفظه طالب العلم؛ لما فيه من الخير العظيم، ولما فيه من بيان عظيم عن مذهب أهل السنة والجماعة(١).

❊ [من] كتب أهل العلم المعروفين بالعلم والفضل والعقيدة الصحيحة: ...«**عقيدة ابن أبي زيد القيرواني**»(٢).

❊ [نوصي] بمطالعة «**القصيدة النونية**» و «**مختصر الصواعق المرسلة**» وكلاهما للعلامة ابن القيم رحمه الله(٣)، وفيهما من البيان والإيضاح لأقوال أهل السنة، والرد على أهل البدع ما لعلك لا تجده في غيرهما، مع التحقيق والعناية بإيضاح الأدلة من الكتاب والسنة وكلام سلف الأمة(٤).

❊ «**عمدة الحديث**» للحافظ عبد الغني المقدسي، كتاب

---

(١) «فتاوى نور على الدرب» (١/ ٢٧)، وينظر: (٣/ ١٣٢) حيث قال رحمه الله بعد ذكر جملة من كتب العقائد لأهل السنة: «ومن أخصرها وأطيبها «**العقيدة الواسطية**»، مختصرة طيبة فأوصي الرجال والنساء بحفظها فهي كافية شافية».

(٢) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٧/ ١٧٨).

(٣) ومقصد شيخنا أن الموصلي اختصر كلام ابن القيم فقط، فما فيه هو لابن القيم كما لا يخفى.

(٤) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢/ ١٠٧).



عظيم جمع أربعمائة حديث وزيادة يسيرة من أصح الأحاديث في أبواب العلم، فإذا تيسر حفظها فذلك من نعم الله العظيمة(١).

❊ «**بلوغ المرام**» للحافظ ابن حجر، كتاب عظيم مختصر، ومفيد محرر، فإذا تيسر لطالب العلم حفظه فذلك خير عظيم(٢).

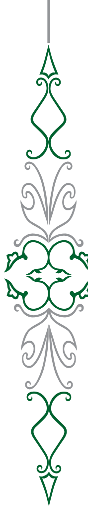
❊ كتاب «**الإيمان**» لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب كتاب عظيم، جمع فيه جملة من الأحاديث المتعلقة بالإيمان(٣).

❊ من أفضل كتب ابن القيم رحمه الله: «**الطرق الحكمية**»، و«**أعلام الموقعين**»، و«**زاد المعاد**»، فهذه الكتب لها شأن عظيم، ولا سيما في حق القضاة والمفتين(٤).

❊ كتاب: «**زاد المعاد في هدي خير العباد**» لابن القيم كتاب عظيم الفائدة(٥).

❊ فتاوى أئمة الدعوة: المسماة: «**الدرر السنية**»، جمعت رسائل كثيرة وأجوبة مفيدة لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، وتلاميذه وأتباعه رحمهم الله جميعًا، وهكذا: **فتاوى**

(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢٧/ ٣٩٦).
(٢) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٥/ ٦٩).
(٣) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٥/ ٧٠).
(٤) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٧/ ٢١١).
(٥) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٩/ ٣٦٣).



شيخنا العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، فقد اشتملت على علم عظيم، وفوائد جمة[1].

❋ من الكتب المفيدة النافعة التي تعتني بالدليل: «**المغني**»، و«**شرح المهذب**»، و«**المحلى**» وغيرها من الكتب التي تعنى بالدليل ونقل أقوال أهل العلم، فهي من أهم الكتب لأهل العلم وطلبته من القضاة وغيرهم[2].

❋ من الكتب المفيدة في شرح الأحاديث النبوية: «**فتح الباري**» للحافظ ابن حجر، و«**شرح النووي لصحيح الإمام مسلم**» رحمة الله عليهما، و«**عون المعبود**» لسنن أبي داود، و«**تحفة الأحوذي**» لجامع الترمذي، و«**نيل الأوطار**» في شرح المنتقى للشوكاني، و«**سبل السلام في شرح بلوغ المرام**» للأمير: محمد بن إسماعيل الصنعاني[3].

❋ «**القاعدة الجليلة في التوسل والوسيلة**» كتاب مفيد جدير بالاطلاع عليه والاستفادة منه[4].

❋ «**الحموية**» كتاب عظيم جدير بالعناية، جدير بالحفظ لما فيه من النقول عن السلف، وبيان الحق بأدلته، والرد



(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢٣/ ٤٣٩).
(٢) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢٣/ ٤٣٩).
(٣) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢٥/ ٦٤).
(٤) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٥/ ٣٢٣).

على أهل الباطل من أهل الكلام والبدع، ومن الفلاسفة والملاحدة، فهو كتاب عظيم مع اختصاره، ومع وضوحه، وفي الحقيقة من أحسن ما كتب المؤلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)].

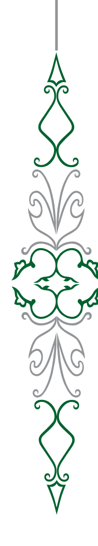
* «**العقيدة الواسطية**» مختصرة مفيدة جامعة، لا أعلم لها نظيرًا فيما ألَّفه الناس لاختصارها وجمعها لعقيدة السلف الصالح بعبارات واضحة وأساليب حسنة[(٢)]، تكتب بماء الذهب[(٣)].

* «**الترغيب والترهيب**» كتاب مشهور معروف للحافظ المنذري، مشتمل على أحاديث كثيرة، فيها الصحيح وفيها الضعيف وفيها الحسن، وقد أشار في كتابه إلى الأحاديث الضعيفة بقوله: (وروي) إذا لم يجزم به، بل حكاه بصيغة التمريض فذلك إشارة منه إلى أنه من الأحاديث الضعيفة. وهو كتاب مفيد عظيم رحم الله مؤلفه[(٤)].

* كتاب ابن القيم رحمة الله عليه في: «**صفة الصلاة**» كتاب جيد[(٥)].

* من أحسن الكتب المختصرة التي تنفع العامة، كتاب:

(١) «التعليق على الرسالة الحموية» (ص٢٣٠).
(٢) «شرح العقيدة الواسطية» (ص٧).
(٣) «شرح العقيدة الواسطية» (ص١٢٥).
(٤) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢٤/ ٨٤).
(٥) «فتاوى نور على الدرب» (٨/ ١٣٤).



«**رياض الصالحين**» للإمام النووي رحمه الله، وكتاب: «**بلوغ المرام**» للإمام الحافظ ابن حجر، وهذه كتب مفيدة نافعة، وينبغي العناية بها والحرص عليها والاستفادة منها[(١)].

- **شرح ابن أبي العز** للعقيدة الطحاوية شرح مفيد[(٢)].

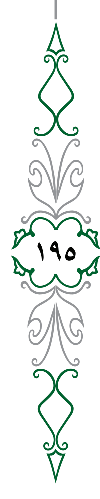
- يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر رحمه الله، ولد سنة (**٣٦٧هـ**)، ومات سنة (**٤٦٣هـ**)، وكانت المدَّة ستًا وتسعين سنة رحمه الله، عُمِّر، وصنف وألف كتبًا عظيمة[(٣)].

- **من أحسن الكتب المتأخرة**: كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، كتب ابن القيم والذهبي[(٤)].

- صنف أبو العباس شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كتابًا جليلاً سماه: «**الصارم المسلول على شاتم الرسول**» عليه الصلاة والسلام. وذكر الأدلة في ذلك، وكلام أهل العلم، وذكر حكم ساب الله ورسوله، فينبغي أن يراجع فإنه مفيد جدًا[(٥)].

- كتب أئمة الدعوة الذين اشتغلوا بها ونشروها - في هذه الجزيرة في النصف الثاني من القرن الثاني عشر وما

(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٧/ ١٥١).
(٢) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٧/ ١٧٩).
(٣) «التعليق على الحموية» (ص١٧٤).
(٤) «فتاوى نور على الدرب» (١/ ١٤٣).
(٥) «فتاوى نور على الدرب» (٤/ ١٥١).



بعده - وهم الشيخ الإمام العلامة محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ تعالى وأبناؤه وأحفاده وأنصاره من دعاة السنة، مفيدة وعظيمة[1].

* رسالة: «**القواعد الأربع**» قواعد مهمة من عقلها وفهمها جيدًا فهم دين المشركين، وفهم دين المسلمين[2].

* [كتاب]: «**البدع والنهي عنها**» للشيخ ابن وضاح رَحِمَهُ اللهُ، و«**الاعتصام**» للشاطبي رَحِمَهُ اللهُ، هذه فيها التحذير عن البدع[3].

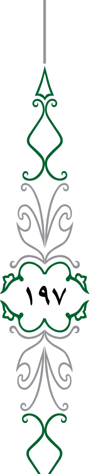
* [من أحسن ما ألف في التوحيد]: «**فتح المجيد**»، وأصله: «**تيسير العزيز الحميد**»، ومن أحسن ما جمع في ذلك الأجزاء الأولى من «**الدرر السنية**» التي جمعها الشيخ العلامة عبد الرحمن بن قاسم رَحِمَهُ اللهُ فإنه جمع فيها فتاوى أئمة الدعوة من آل الشيخ وغيرهم من علماء القرن الثاني عشر وما بعده في العقيدة والأحكام، فأنصح بقراءتها ومراجعتها، ومن ذلك «**مجموعة الرسائل**» الأولى[4] لأئمة الدعوة من آل الشيخ وغيرهم رَحِمَهُمُ اللهُ، **وردود المشايخ**: الشيخ: عبد الرحمن بن حسن،

(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢٥/ ٦٣).
(٢) «شرح القواعد الأربع» (ص٨).
(٣) «فتاوى نور على الدرب» (٢/ ٤٨).
(٤) وقد طبعت قديمًا في مطبعة المنار باسم: «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» في أربع مجلدات.



والشيخ: عبد اللطيف بن عبد الرحمن، والشيخ عبد الله أبابطين، والشيخ: سليمان بن سحمان، وغيرهم من أئمة الهدى وأنصار التوحيد؛ لما فيها من الفائدة، وإزالة الشبه الكثيرة، والرد على أهلها رَحِمَهُمُ اللَّهُ جميعًا رحمة واسعة، وأسكنهم فسيح جناته وجعلنا من أتباعهم بإحسان، ومن ذلك أعداد: «**مجلة البحوث الإسلامية**» التي تصدرها الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد لما فيها من المقالات العظيمة والفوائد الكثيرة في العقيدة والأحكام، ومن ذلك المجلدات الأولى من **الفتاوى والمقالات الصادرة** مني فيما يتعلق بالعقيدة[١].

* الطلبة الذين لم يتمكنوا من العلم وهكذا الطالبات اللاتي لم يتمكن من العلم فهؤلاء ننصحهم جميعًا: **بحفظ كتاب الله الكريم، مع حفظ المؤلفات المختصرة** في العقيدة والحديث الشريف؛ مثل: كتاب «**التوحيد**» للإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب، و «**ثلاثة الأصول**» له أيضًا، و «**كشف الشبهات**» له أيضًا، و«**العقيدة الواسطية**» لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، و«**بلوغ المرام**» للحافظ ابن حجر، و«**عمدة الحديث**» للحافظ عبد الغني المقدسي، و«**الأربعين النووية**»



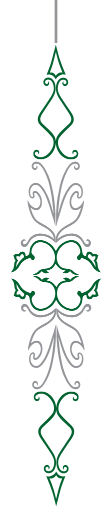
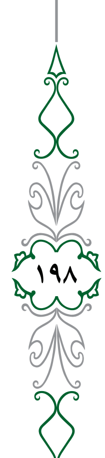

---
(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٧/ ٦٣).

وتكملتها للحافظ ابن رجب، و«**آداب المشي إلى الصلاة**» للشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومطالعة الكتب الآتية: «**فتح المجيد**»، و«**رياض الصالحين**»، و«**الوابل الصيب**»، و«**زاد المعاد**»، و«**جامع العلوم والحكم**» للحافظ ابن رجب... وأشباهها من الكتب المفيدة المختصرة[1].

❊ من كتب الفقه المفيدة: «**المغني**» للإمام العلامة أبي محمد عبد الله بن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، و«**المقنع**» له أيضًا، و«**الروض المربع شرح زاد المستقنع بحاشية العلامة الشيخ عبد الرحمن بن قاسم**» رَحِمَهُ ٱللَّهُ، و«**شرح المهذب**» للنووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2].

❊ ويكون عنده في المصطلح: «**نخبة الفكر**» وشرحها للحافظ ابن حجر، وفي أصول الفقه: «**روضة الناظر**» للموفق ابن قدامة... وفي الفقه مثل: «**عمدة الفقه**» للموفق، و «**زاد المستقنع**» للحجاوي، و «**دليل الطالب**»[3].

❊ لكن أعود وأبين أن **أعظم كتاب، وأشرف كتاب، وأصدق كتاب؛ هو كتاب الله سبحانه وتعالى؛** فيه

---

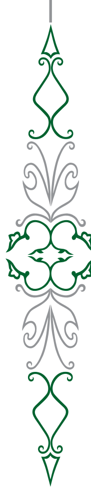
(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٥/ ٤٠٤).
(٢) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢٤/ ٣٣٠).
(٣) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٨/ ٢٣٣).

الكفاية العظيمة لمن استشفى به ولمن استند عليه. كان السلف الصالح ليس عندهم هذه الكتب الجديدة، وإنما عندهم كتاب الله، وعندهم سنة الرسول ﷺ، وكفتهم والحمد لله؛ عند الصحابة والتابعين القرآن العظيم وأحاديث النبي ﷺ، ففيهما الكفاية والهدى.

ولكن لا مانع من الاستعانة بكتب أهل العلم المعروفين بالخير مثل ما تقدم، لا مانع من الاستعانة بكتبهم والاستفادة منها، ودعوة الناس إلى الاستفادة منها؛ لأن بعض الناس قد لا يثق بفهمه، من الكتاب والسنة ولا يطمئن إلى فهمه. فإذا استعان بكتب أهل العلم المعروفين، ووافق ما عندهم ما فهمه من الكتاب والسنة؛ ازداد نورًا، وازداد بصيرة؛ واطمأن قلبه[1].







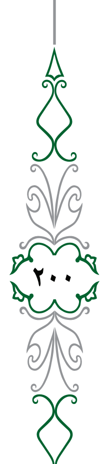
(١) «فتاوى نور على الدرب» (١/ ٢٧) بتصرف يسير

ثلاث وصايا جامعة

❊ وصيتي لنفسي ولإخواني، ولكل من بلغته هذه الكلمة، وصيتي للجميع: تقوى الله في السر والعلن، والعناية بالتفقه في الدين، والتبصر في الدين[1].

❊ أنت مأمور بتقوى الله، مأمور بالإسلام، مأمور بالإيمان، وهذا هو العلم والعمل قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عِمـرَان: ١٩]، وقال ﷺ: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**»[2]. قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ﴾ [البَقَرَة: ١٨٩]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ﴾ [النّجم: ٢٣]، فأنت مأمور بالتفقه والتعلم[3].

❊ وإن وصيتي لأهل العلم وطلبته، ولكل مسلم ومسلمة، أن يصبروا في هذا الأمر، وأن يواصلوا الجهود في سبيل الحق، وأن يحفظوا الوقت، وأن يكثروا من

---

(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢٣/ ٢٥٠).
(٢) أخرجه مسلم (٥٨).
(٣) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢٣/ ٢٥٢).

المذاكرة بينهم فيما قد يشكل على بعضهم، حتى يتوافر لديهم من المعلومات ما يحصل به الخير لهم، وللمسلمين إن شاء الله، مع الحرص على إصلاح النية والإخلاص في كل ما يتقرب به العبد إلى ربه، وفي كل ما ينفع الناس[1].





(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٧/ ٢٠٥).

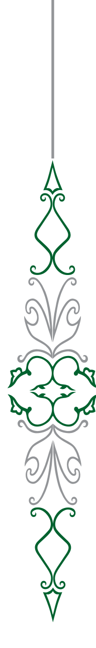
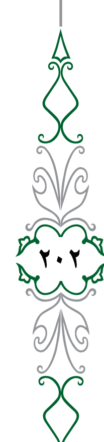
الخاتمة

❊ أسأل الله تعالى بأسمائه وصفاته أن يوفقنا وسائر المسلمين للعلم النافع والعمل الصالح وأن يرزقنا جميعا التخلق بأخلاق أهل العلم والإيمان، أخلاق الرسل وأتباعهم بإحسان، وأن يزيدنا وجميع المسلمين من العلم النافع والعمل الصالح والبصيرة النافذة، وأن يعيذنا جميعًا من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا.

كما نسأله سبحانه أن يوفق القائمين على أمور المسلمين في كل مكان لكل ما فيه رضاه وصلاح العباد وأن يصلح قادة المسلمين ويعينهم على طاعة الله ورسوله، وأن يوفقهم لتحكيم شريعته والالتزام بها والتحاكم إليها، والحذر مما يخالفها.

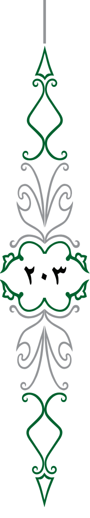
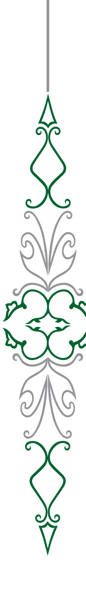
كما أسأله ﷻ أن يصلح أحوال المسلمين في كل مكان، وأن يمنحهم الفقه في الدين، وأن يعينهم على ذكره وشكره وحسن عبادته، وأن يعيذنا وسائر المسلمين من كل ما يخالف شرعه. إنه ﷻ وليُّ ذلك والقادر عليه[1].

❊ وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين[2].

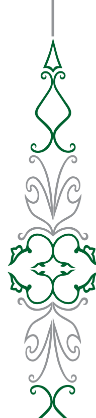



(١) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٤/ ٨٨).
(٢) «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٢/ ٢٩).

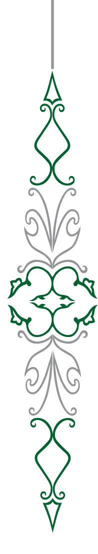
الفهارس

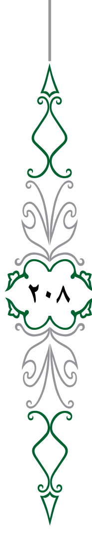



فهرس الآيات

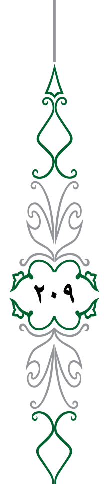


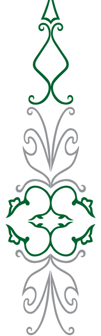




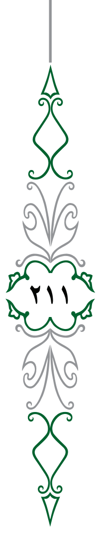

الفهرس

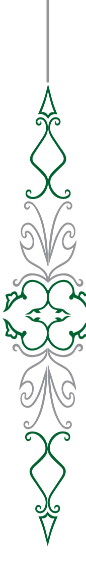
فهرس الأحاديث











فهرس المصادر والمراجع

❖ **القرآن الكريم.**

- أ -

* **أخلاق العلماء**، الآجري، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٢٥هـ.

* **أدب الدنيا والدين**، الماوردي، دار المنهاج، ط١، ١٤٣٤هـ.

* **أدب الطلب**، الشوكاني، تحقيق: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، ط١، ١٩٧٩م.

* **إرشاد الساري شرح صحيح البخاري**، القسطلاني، المطبعة الأميرية، ط٧، ١٣٢٣هـ.

* **اقتضاء الصراط المستقيم**، ابن تيمية، ت: ناصر العقل، دار أشبيليا، ط٣، ١٤٢٦هـ.

* **اقتضاء العلم العمل**، الخطيب البغدادي، ت: الألباني، المكتب الإسلامي، ط٤، ١٣٩٧هـ.

* **إكمال الإعلام بتثليث الكلام**، ابن مالك، ت: سعد الغامدي، جامعة أم القرى، ط١، ١٤٠٤هـ.

* **الإبانة الكبرى**، ابن بطة، ت: رضا معطي وآخرين، دار الراية، ط٢، ١٤١٥هـ.



* **الإتحاف في الردِّ على الصحاف**، عبد اللطيف آل الشيخ، ت: عبد العزيز الزير، دار العاصمة، ط١، ١٤١٦هـ.

* **الآداب الشرعية والمنح المرضية**، ابن مفلح، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٢٩هـ.

* **الآداب**، البيهقي، ت: السعيد المندوه، مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، ١٤٠٨هـ.

* **الأدب المفرد**، البخاري، ت: سمير الزهيري، مكتبة المعارف، ط١، ١٤١٩هـ.

* **الأعلام العليَّة في مناقب ابن تيمية**، ت: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٠هـ.

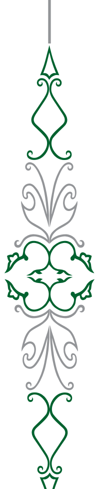
* **الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع**، القاضي عياض، ت: السيد أحمد صقر، دار التراث، ط٢.

* **الإيمان الأوسط**، ابن تيمية، ت: علي الزهراني، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤١٩هـ.

* **الإيمان**، ابن تيمية، المكتب الإسلامي، ط١، ١٣٨١هـ.

* **البحر المحيط في أصول الفقه**، الزركشي، ت: عبد القادر العاني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، ط١.

* **البدع والنهي عنها**، ابن وضاح، ت: عمرو سليم، مكتبة ابن تيمية، ط١، ١٤١٦هـ.




* **التحبير شرح التحرير في أصول الفقه**، المرداوي، ت: عبد الرحمن الجبرين وآخرين، مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢١هـ.

* **التحبير لإيضاح معاني التيسير**، الصنعاني، ت: محمد صبحي حلاق، مكتبة الرشد، ط١، ١٤٣٣هـ.

* **التعليق على العقيدة الحموية**، عبد العزيز بن باز، مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز، ط١.

* **الثقات**، ابن حبان، دائرة المعارف العثمانية، ط١، ١٣٩٣هـ.

* **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**، الخطيب البغدادي، مكتبة المعارف، ط١، ١٤١٨هـ.

* **الجامع لمسائل المدونة**، محمد بن يونس الصقلي، ت: مجموعة باحثين، دار الفكر، ط١، ١٤٣٤هـ.

* **الجرح والتعديل**، ابن أبي حاتم، ـ عبد الرحمن المعلمي، مجلس دائرة المعارف، ط١، ١٣٧١هـ.

* **الجواهر المضية في طبقات الحنفية**، أبو الوفاء القرشي، ت: عبد الفتاح الحلو، دار هجر، ط٢، ١٤١٣هـ.

* **الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر**، السخاوي، ت: إبراهيم باجس، دار ابن حزم، ط١، ١٤١٩هـ.

* **الحث على حفظ العلم وذكر كبار الحفاظ**، ابن الجوزي، ت: فؤاد عبد المنعم، مؤسسة شباب الإسكندرية، ط٢، ١٤١٢هـ.





* **الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه**، أبو هلال العسكري، د. مروان قباني، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٦هـ.

* **الدرر السنية في الأجوبة النجدية**، جمع: عبد الرحمن بن قاسم، ط٦، ١٤١٧هـ.

* **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، ابن حجر، مجلس دائرة المعارف، ط٢، ١٣٩٢هـ.

* **الرسالة التبوكية**، ت: عزير شمس، عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٥هـ.

* **السنن الكبرى**، البيهقي، ت: محمد عطا، دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٢٤هـ.

* **السنن الكبرى**، النسائي، ت: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ.

* **الشريعة**، الآجري، ت: عبد الله الدميجي، دار الوطن، ط٢، ١٤٢٠هـ.

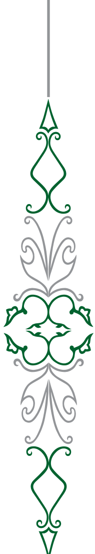
* **الصفدية**، ابن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية، ط٢، ١٤٠٦هـ.

* **الفقيه والمتفقه**، الخطيب البغدادي، ت: عادل العزازي، دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٢١هـ.

* **الكامل في ضعفاء الرجال**، ابن عدي، ت: عادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ.

* **المجموع شرح المهذب**، النووي، ت: نجيب المطيعي، مكتبة الإرشاد، ط١.

* **المدخل إلى علم السنن**، البيهقي، ت: محمد عوامة، دار المنهاج، ط١، ١٤٣٧هـ.



* **المستدرك على الصحيحين**، الحاكم، تحقيق: مصطفى عطا، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ.

* **المصنف**، ابن أبي شيبة، تحقيق: كمال الحوت، ط١، مكتبة الرشد، ١٤٠٩هـ.

* **المعجم الأوسط**، الطبراني، تحقيق: طارق عوض الله، ط١، دار الحرمين.

* **المعجم الكبير**، الطبراني، تحقيق: حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية.

* **المفهم لما أشكل من تلخيص الإمام مسلم**، القرطبي، تحقيق: محي الدين مستو وآخرين، ط١، دار ابن كثير، ١٤١٧هـ.

* **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، النووي، دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٣٩٢هـ.

* **المنهاج في شعب الإيمان**، الحليمي، ت: حلمي فودة، دار الفكر، ط١، ١٣٩٩هـ.

* **الموافقات**، الشاطبي، ت: مشهور سلمان، دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧هـ.

* **الواضح في أصول الفقه**، ابن عقيل، ت: عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ.

* **الوافي بالوفيات**، الصفدي، ت: أحمد الأرناؤوط، دار إحياء التراث، ط٢، ١٤٢٠هـ.

* **الوسيط في تراجم أدباء شنقيط**، أحمد الشنقيطي، الشركة الدولية للطباعة، ط٥، ١٤٢٢هـ.



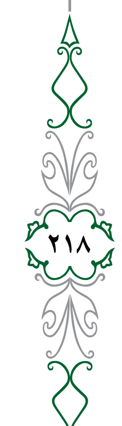
- ب -

* **بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام**، ابن القطان، ت: الحسن آيت، دار طيبة، ط١، ١٤١٨هـ.

- ت -

* **تاريخ الإسلام**، الذهبي، ت: بشار معروف، دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٣م.
* **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي**، ت: مازن السرساوي، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٣١هـ.
* **ترتيب المدارك وتقريب المسالك**، القاضي عياض، ت: مجموعة باحثين، مطبعة فضالة بالمغرب، ط١
* **تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد**، المطبعة الميرية، ط١، ١٣١٩هـ.
* **تعظيم قدر الصلاة**، المرزوي، د. عبد الرحمن الفريوائي، مكتبة الدار، ط١، ١٤٠٦هـ.
* **تفسير ابن أبي حاتم= تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: حكمت بشير وآخرين، ط١، دار ابن الجوزي، ١٤٣٩هـ.
* **تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم**، ت: سامي السلامة، دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ.
* **تفسير البغوي = معالم التنزيل**، ت: محمد النمر وآخرين، دار طيبة، ط٤، ١٤١٧هـ.
* **تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ت: عبد الله التركي، دار هجر، ط١، ١٤٢٢هـ.





* **تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن**، ت: أحمد البردوني وآخرين، دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٨٤هـ.

- ج -

* **جامع الترمذي**، تحقيق: أحمد شاكر، ط٣، مطبعة البابي، ١٣٩٥هـ.
* **جامع بيان العلم وفضله**، ابن عبد البر، ت: أبو الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، ط١١، ١٤٣٥هـ.
* **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس**، الحميدي، الدار المصرية للتأليف، ط١، ١٩٦٦م.
* **جواب الاعتراضات المصرية على الفتيا الحموية**، ابن تيمية، ت: محمد عزير شمس، دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٩هـ.

- ح -

* **حديث الصباح من كلمات وتعليقات وأحاديث سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز**، جمع: صلاح الدين عثمان، دار التوحيد، ط١، ١٤٣٥هـ.
* **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، أبو نعيم الأصبهاني، دار السعادة بمصر، ط١، ١٣٩٤هـ.

- د -

* **درء تعارض العقل والنقل**، ابن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام، ط١، ١٤١١هـ.



* **ديوان أحمد شوقي**، نهضة مصر، ط٢، ١٩٥٨.

- ز -

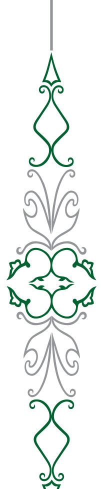
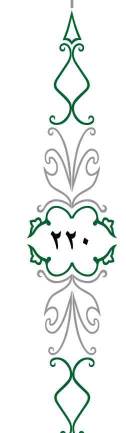
* **زاد المسير في التفسير**، ابن الجوزي، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤١٢هـ.

- س -

* **سلسلة الأحاديث الصحيحة، وشيء من فقهها**، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف.
* **سنن ابن ماجه**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط١، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠هـ.
* **سنن أبي داود**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط١، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠هـ.
* **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٥هـ.

- ش -

* **شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك**، ت: طه عبد الرؤوف، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، ١٤٢٤هـ.
* **شرح السنة**، البغوي، ت: شعيب الأرنؤوط، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٥هـ.
* **شرح العقيدة الواسطية**، عبد العزيز بن باز، مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية، ط١.
* **شرح القواعد الأربع**، عبد العزيز بن باز، مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز، ط١.

* **شرح ثلاثة الأصول**، عبد العزيز بن باز، مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية، ط١.

* **شرح مشكل الآثار**، الطحاوي، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٥هـ.

* **شعب الإيمان**، البيهقي، ت: عبد العلي حامد، مكتب الرشد، ط١، ١٤٢٣هـ.

* **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**، ابن القيم، دار المعرفة، ط١، ١٣٩٨هـ.

- ص -

* **صحيح ابن حبان (بترتيب ابن بلبان)**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط٢، مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ.

* **صحيح ابن خزيمة**، تحقيق: مصطفى الأعظمي، ط٣، المكتب الإسلامي، ١٤٢٣هـ.

* **صحيح البخاري**، دار التأصيل، ١٤٣٦هـ.

* **صحيح الترغيب والترهيب**، محمد ناصر الدين الألباني، ط١، مكتبة المعارف، ١٤٢١هـ.

* **صحيح الجامع الصغير وزياداته**، الألباني، المكتب الإسلامي.

* **صحيح مسلم**، دار التأصيل، ط١، ١٤٣٥هـ.

* **صيد الخاطر**، ابن الجوزي، ت: حسن سويدان، دار القلم، ط١، ١٤٢٥هـ.



- ط -

* **طبقات الحنابلة**، أبو الحسين ابن أبي يعلى، ت: محمد الفقي، دار المعرفة، ط٢

* **طريق الهجرتين وباب السعادتين**، ابن القيم، ت: محمد أجمل الإصلاحي، دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٩هـ.

- ع -

* **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، بدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي.

- غ -

* **غريب القرآن**، ابن قتيبة، ت: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ.

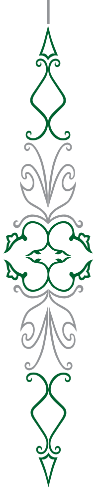
- ف -

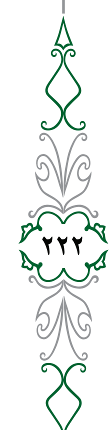
* **فتاوى نور على الدرب**، ابن باز، اعتنى بها: محمد الشويعر، رئاسة الإفتاء.

* **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ابن حجر، المطبعة السلفية، ط١، ١٣٨٤هـ.

* **فتح المغيث بشرح ألفية الحديث**، السخاوي، ت: عبد الكريم الخضير، ومحمد آل فهيد، دار المنهاج، ط١، ١٤٢٦هـ.

* **فضائل القرآن**، الفريابي، ت: يوسف فضل الله، مكتبة الرشد، ط١، ١٤٠٩هـ.





* **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، ط١، ١٣٥٦هـ.

- ك -

* **كتاب العلم**، **محمد العثيمين**، مؤسسة الشيخ محمد العثيمين الخيرية، ط٩، ١٤٣٥هـ.

- ل -

* **لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ**، ابن فهد المكي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ.
* **لسان العرب**، ابن منظور، دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ.

- م -

* **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، الهيثمي، ت: حسام الدين القدسي، تصوير دار الكتاب العربي.
* **مجموع الفتاوى**، ابن تيمية، جمع: عبد الرحمن القاسم، مطبعة الرياض، ط١، ١٣٨١هـ.
* **مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي**، ت: طلعت الحلواني، دار الفاروق، ط٢، ١٤٢٤هـ.
* **مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد العثيمين**، جمع محمد السليمان، دار الثريا، ط١.
* **مجموع فتاوى ومقالات متنوعة**، عبد العزيز بن باز، جمع: محمد الشويعر، ط٤، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء.



* **مجموع مؤلفات العلامة عبد الرحمن السعدي**، مؤسسة العنود الخيرية، ط١، ١٤٣٢هـ.

* **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، ابن القيم، ت: محمد حامد الفقي، مطبعة أنصار السنة المحمدية، ط١، ١٣٧٥هـ.

* **مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق**، ابن حزم، ت: محمد الكعبي، دار القلم، ط٢، ١٤٣٣هـ.

* **مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، عبيد الله المباركفوري، الجامعة السلفية بالهند، ط٣، ١٤٠٤هـ.

* **مسائل الإمام أحمد رواية ابن هانئ**، ت: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ١٣٩٤هـ.

* **مسائل الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه رواية الكوسج**، ت: خالد الرباط وآخرين، دار الهجرة، ط١٤٢٥هـ.

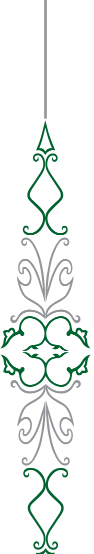
* **مسند الإمام أحمد**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ.

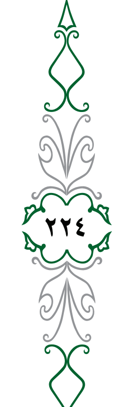
* **مسند البزار = البحر الزخار**، ت: محفوظ الرحمن زين الله وآخرين، مكتبة العلوم والحكم، ط١

* **مسند الدارمي**، تحقيق: حسين أسد، ط١، دار المغني، ١٤٢١هـ.

* **معالم السنن**، الخطابي، المطبعة العلمية بحلب، ط١، ١٣٥١هـ.

* **مفاتيح الغيب**، الرازي، دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤٢٠هـ.





* **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، ابن القيم، ت: عبد الرحمن قائد، دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٣٢هـ

* **موطأ الإمام مالك**، دار التأصيل، ط١.

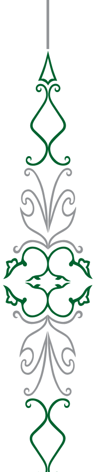
- ن -

* **نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار**، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: حمدي السلفي، ط١، دار ابن كثير، ١٤١٦هـ.





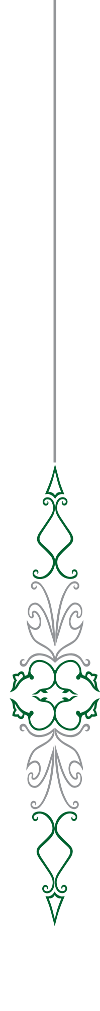
فهرس الموضوعات

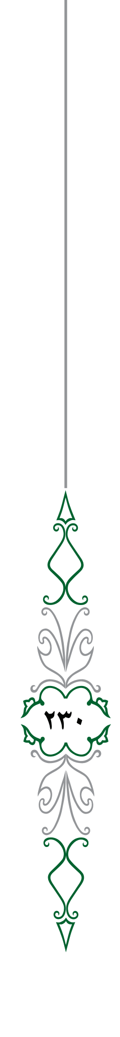


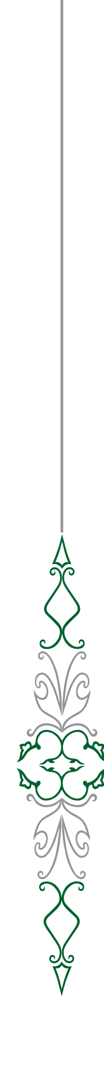
قواعد تحصيل العلم وضبطه



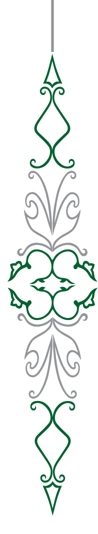
الفوائد المنتقاة من كلام شيخنا ابن باز رحمه الله في العلم وأهله














تم بحمد الله



رؤية VISION 2030
المملكة العربية السعودية
KINGDOM OF SAUDI ARABIA

موقع الرئاسة
www.pv.gov.sa

الرقم الموحد
1909

PVGOVSA